تخطيط العمائر الدينية الإسلامية الباقية بالدلتا خلال العصرين المملوكي والعثماني دراسة تحليلية مقارنة•

د/ مجدي عبد الجواد علوان•

مقدمه:

شيدت بمدن الدلتا وقراها خلال العصرين المملوكي والعثماني عمائر دينية متنوعة الطرز والوظائف، بقيت منها عدة جوامع ومدارس وزوايا[١]، ويعد تشييد هذه العمائر

• سقط من العدد الخامس عشر لعام٢٠١٤م.

• أستاذ مساعد الآثار والعمارة الإسلامية كلية الآداب - جامعة أسيوط.

[١]تبين من خلال الدراسة الميدانية لهذا البحث - اندثار عدد كبير من العمائر المملوكية والعثمانية التي كانت قائمة في العديد من مدن الدلتا وقراها ، ويعزى ذلك إما للتقصير في المحافظة عليها لغياب الوعي الأثري بين الأهالي ، ولخضوع معظمها لإشراف الأهالي وإدارات وزارة الأوقاف حيث تم تحديث عديد منها ، وإما لعدم تسجيلها ضمن الآثار الإسلامية التابعة للدولة إلى وقت قريب ولو قُـدِّر لهذه العمائر البقاء للآنلكانت أدت دوراً بارزاً في تصنيف العمائر الدينية ضمن حلقة تطور التراث المعماري الإسلامي في مصر-مشتركة في ذلك مع عمائر مدينة القاهرة التي مثلت القسط الأوفر في مراحل ذلك التصنيف ، ومن أمثلة العمائر المندثرة من جوامع ومدارس وزوايا ما يلى:

أ- دمياط:المدرسة المتبولية ٨٨٠هـ/١٤٧٥م،المدرسة المسلمية ، المدرسة الراجحية ،المدرسة القاسمية ، جامع البحر١٠٠٩هـ/١٦٠٠م،جامع البدري ١١٠٦هـ/١٦٩٤م ، جامع على النفيسى، زاوية المغاربة.

ب- المنصورة: جامع الموافي ٨٩٩هـ/١٥٨٩م ، جامع النجار ١١٢٠هـ/١٧٠٨م.

جـ- سمنود: جامع سيدى سلامة بن نزيها ، جامع المتولى (ق١٠هـ/١٦م) .

د- المحلة الكبرى: جامع المحلى أو الغمري وترجع أصوله للعصر الفاطمي، جامع ولى الدين الجندي ٧٠٠هـ /١٣٠٠م ، زاوية الطريني ٨٢٧هـ/١٤٢٣م ، جامع الحنفي بن كتيلة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ، جامع الغمري(التوبة) ٨٩٩-٩٠٥هـ/١٤٩٣-١٤٩٩م، جامع أبى العباس الحريثي ٩٤٥-٩٥١هـ/١٥٣٨-١٥٤٤م ، جامع المحجوب ، جامع الرديني ، جامع الأمير بالى، جامع الصياد، جامع المنسوب، جامع المقدم، جامع الإمام، جامعا:محمد بن عز و الطبلاوي بقرية الهياتم.

هـ- ميت غمر: جامع أبي العباس الغمري ٩٠٥هـ/١٤٩٩م .

و- بلبيس: جامع السادات ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م .

ز- أبيار: جامع قطلقتمر العلائي بقرية أبيج ٧٣٠هـ/١٣٣٠م ، الجامع العمرى ق ١٠هـ/١٦م.

ح- الإسكندرية : جامع أبى العباس المرسى ١١٨٠هـ/١٧٦٦م،جامع سيدي جابر،جامع سيدي القباري ، جامع على جنينة (ق١١هـ/١٧م).

ط- إدفينا: جامع الحلبي ١١٧٠هـ/١٧٥٦م . لمزيد عن هذه العمائر انظر:

تفيده عبد الجواد:الآثار المعمارية بمحافظة الغربية في العصرين المملوكي والعثماني ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م ،ص ٧٣ ، ٧٤؛ حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، مجلة المجمع العلمي المصري ، مجلد ٣٨ ، ج٢، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ٢٠ ، ٢١؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبع المجلس الأعلى للشئون

في تلك المنطقة من مصر- انعكاساً لما شهدته من نهضة دينية، امتازت بانتشار المذاهب الفقهية ، وكثرة طوائف الصوفية التي كانت تضم جماعات من الناس يشتركون في إقامة الشعائر الدينية ، ويتلقون أنواعاً من التعليم الديني ، فضلاً عن النشاط العلمي والفكري الملحوظ ، فقد أقيمت هذه العمائر بدافع يمثل الاتجاه الديني المتزايد لدى المسلمين في هذه البقعة من أرض مصر، وتركزت تلك الأنشطة في مدن: الإسكندرية، دمياط ، المحلة الكبرى، طنطا، سمنود ، دسوق ، ميت غمر، المنصورة ، رشيد، فوه ، أبيار.

هذا وتزخر المصادر والمراجع التاريخية بإشارات كثيرة تلقى الضوء عما احتوته هذه المدن من عمائر إبان العصرين المملوكي والعثماني وما شهدته من نهضة دينية[٢].

الإسلامية ،١٩٨٣م ،جـ ١، ص ٢٤٤-٢٤٧ ، جـ ٥ ، ص١٦٢؛ على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، طبعة بولاق ،١٣٠٥-١٣٠٦هـ، جـ١٢ ،ص ٤٧ ، جـ١٤ ، ص ٨٢ ، جـ١٥، ص ١٨-٢٥ ،جـ ١٦، ٧٩ ؛ مجدي عبد الجواد علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني في دلتا النيل دراسة آثارية ضمن حلقة تطور التراث المعماري الإسلامي في مصر، مطبعة الكلمة ، أسيوط ،٢٠١٣م ، ص ٣٧ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٨٨ ، ١٦٢ ،١٧١، ١٧٩ ،١٩١ ؛ محاضر اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية :كراسة رقم ٤١،سنة ١٩٥٤-١٩٦١م ،القاهرة ،المطابع الأميرية ،١٩٦٣م،ص٦٠ ، ٦١ ؛ محمد عبد القادر موافي: المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ،١٩٨٥م ،ص٢٠٠ – ٢٠٢؛ محمد عبد الرازق عطا: مدينة دمياط منذ بداية العصر المملوكي حتى نهاية العصر العثماني دراسة آثارية عمرانية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ٩٤؛

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1912 , Le Caire 1913, p.121,123,pl.XIV,XVI.

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1936-1940 , Le Caire 1944, p.51,p-p.234-239.

[٢]ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر بأنباء العمر، طبعة بيروت، ١٩٨٦م،جـ ٦،ص٢٤٣، ٢٤٤،جـ ٨ ،ص٥١؛ أبو الحسين محمد ابن جبير: رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٥ – ١٨؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب،٨ أجزاء،١٣٥٠م، ص٢٦٥،٢٦،٢٥ ،٢٦٦؛ الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة ليدن، ١٨٩٣م ، ص١٥٧- ١٦١؛ جمال الدين ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم طرخان ، القاهرة ، ١٩٧١م ، جـ ١٥، ص ٨٨ ، ١٢٤، ١٢٥ ؛ شمس الدين أبى عبد الله محمد : رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ، تحقيق:عبد الهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث ،المجلد الأول ، ١٩٩٧م ، ص ١٩٢-٢٠١؛ شمس الدين محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،مطبعة دار الجيل،بيروت،د. ت،ج٢،ص٤٥ ، ٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٣٩ ،٢٤٠،جـ ٨ ،ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ،جـ ٩ ،ص١٧٧،جـ١١ ،ص٦٤ ، ٦٥ ؛ شهاب الدين ياقوت الحموي: معجم البلدان، طبعة أولى، جـ ٥ ،ص ١٣٣ ،جـ ٧ ،ص ٣٩٦ ،جـ ٨ ، ص ١٧٨؛ شهاب الدين أحمد القلقشندى:صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة دار الكتب،١٩٣٨م ،ج٩،ص٤٠٦؛ عبد الوهاب الشعراني: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المعروفة باسم الطبقات الكبرى ، جـ٢،

وتتميز عمائر الدلتا الدينية ببعض السمات العامة يمكن حصرها في النقاط التالية:
١- تشترك عمائر مدن الدلتا وقراها باختلاف طرزها المعمارية وأغراضها الوظيفية في كونها ليست عمائر سلطانية كغالب عمائر مدينة القاهرة [٣] ، بل هي عمائر أميرية أقامها أمراء ممن شغلوا وظائف إدارية كبرى [٤]، أو وظائف عسكرية[٥]، أو كانوا ولاة

طبعة أولى، بيروت، ١٩٨٨م ، ص ٨٨ - ١٠١ ، ١٢١؛ على مبارك: الخطط التوفيقية ،جـ١٢ ، ص ٤٧ ، جـ١٤ ، ص ٨٢ ، جـ١٥ ، ص ١٨-٢٥ ،جـ ١٦ ، ص٧٩ ؛ محمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة بولاق، ١٣١٢هـ ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥؛ محمد بن على الشوكاني : البدر الطالع لأهل القرن التاسع، جـ ٢، دار المعرفة، بيروت، د ت ، ص ٢٣٣؛ محمد المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،المطبعة الوهبية بمصر، ١٨٦٧م ، ج٢ ،ص ١٦٦؛ توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني ،مكتبة الآداب، ص٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩، ٥٣ ، ٧٦ ،٧٧؛ ميكل ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م ، ص ٢٠٩.

[٣] ندر قيام سلاطين المماليك والولاة العثمانيين - ببناء عمائر دينية مثل تلك التي شادوها في القاهرة، حيث لم تشر المصادر والمراجع التاريخية إلى ذلك النشاط ، باستثناء السلطان الأشرف قايتباي الذي بَنَى سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م مدرسة بدمياط على غرار المدارس المملوكية كانت تشرف على النيل ، عرفت باسم المدرسة المتبولية نسبة للشيخ إبراهيم المتبولي، والتي جُدِدَت عمارتها سنة ١١٢٣هـ /١٧١١م، لكنها اندثرت حالياً.
جمال الدين الشيال:مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٤؛ حسن عبد الوهاب: طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص ٢١؛ محمد عطا: مدينة دمياط، ص ٧٤٤؛ محمد:المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا،ص ٢٠٠ – ٢٠٢.

[٤] من بين هؤلاء الأمراء الذين شغلوا وظائف كبيرة في الدواوين السلطانية وقاموا ببناء عمائر دينية ببلادهم التي ينتمون إليها في مدن الوجه البحري إبان العصر المملوكي : الأمير حسن نصر الله الفوى الأصل ، الذي شغل منصب "استادار" زمن السلطان الظاهر جقمق سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، وبنى جامعاً كبيراً سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م في مدينة فوه ، جُدِدَ علي ما هو عليه الآن في العصر العثماني .
ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤٩٤ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٣٠ ، ١٣١؛ محمد عبد العزيز السيد:عمائر مدينة فوه العصر العثماني ، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص١٠٦؛
ومنهم أيضاً الأمير أحمد بن على بن يوسف المحلى المعروف بالطريني المتوفي سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م ، وكان شاهداً بديوان المفرد ، ومباشراً في بعض المدارس بالقاهرة ، وبنى الجامع الكبير بالمحلة الكبرى المعروف بجامع المتولي (شكل ٢).
ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج ٦ ،ص٢٤٣ ، ٢٤٤؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٢،ص٤٥ ، ٤٦ ؛ وكذلك جامع المحمودية بالمنصورة ،الذي بناه الأمير محمود بن عبد الله ، من أمراء متفرقة ديوان مصر المحروس سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م ، وجدد في القرن ١٣هـ/١٩م .
أرشيف وزارة الأوقاف: وثيقة رقم ٧٩٧ ،المحكمة (الصالحية)- موضوع التصرف (وقف)- المتصرف (الأمير محمود بن عبد الله)- تاريخ الوثيقة (١٣رجب سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م).

[٥] من أمثلة ذلك ما يلي :

أقاليم يعينون من قبل السلطان أو الوالي أو الباشا في القاهرة كالكاشف مثلاً [٦] ، وهذا النوع قليل إلى حد ما ، أما الغالبية العظمى لأنواع هذه العمائر فهي عمائر أهلية بناها أهالي تلك المدن على اختلاف طبقاتهم ما بين تجار[٧] ومتصوفة ورجال

أ-عمائر الأمير حماد مقلد البقري والمتمثلة في جامع ببلدة : ديرب نجم، وزاوية بميت غمر ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م (لوحة ١٠ ،شكل ٣٦ ،٣٧).
دار الوثائق القومية : سجلات محكمة ميت غمر ، سجل ١٤ ، ص ٣٩ ، سطور ٦ - ٨.
ب - المدرسة الرضوانية بدمياط والتي جدد عمارتها بالكامل الأمير "رضوان بن عبد الله الينجركى" رئيس فرقة مشاة بالإنكشارية سنة ١٠٢٩هـ/١٦١٩م (لوحة ١٦، شكل ٣٣ ، ٣٤).
سهير جميل: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة،١٩٩٥م، ص٧٧-٨٧ ؛ محمد عطا: مدينة دمياط، ص٣٣٥.
جـ- جامع عطاء الله السكندرى ١١١٠هـ/١٦٩٨م، الذي شيده الأمير محمد جوربجى باش جاويش الملتزم بنواحي المحلة الكبرى (شكل ١١) ، و جامع الأمير عبد الله عاصي جوربجي ١١٣٥هـ/١٧٢٢م بالمحلة الكبرى (شكل ١٢).
تفيده عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ، ص١٣٥- ١٣٧؛ مجدي عبد الجواد: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ٥٠ ، ٥٣؛ وليد محمد شحاتة: أساليب التغطية في عمائر وسط الدلتا في العصرين المملوكي والعثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا، ٢٠١١م ، ص ٤٣ .
[٦]من أمثلة ذلك النماذج التالية : أ- جامع الأمير قَطْلـقُتـمُر العلائي ٧٣٠هـ/١٣٣٠م ، أحد أمراء السلطان الناصر محمد الذي أنشأه بقرية أبيج التابعة لبلدة أبيار بالغربية ، وهذا الجامع مندثر حالياً ولم يتبق منه سوى نقش كتابي عبارة عن لوحة رخامية سجل عليها النص التأسيسي.
مجدي عبد الجواد علوان: إضافة جديدة إلى النقوش الكتابية الإسلامية المكتشفة في مصر، بحث ضمن حولية أبجديات ، مكتبة الإسكندرية ، العدد السابع ، ٢٠١٢م ، ص ٨١ ، ٩٣ .
ب- جامع السادات بمدينة بلبيس الذي بناه الأمير مصطفي كاشف بالشرقية سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م
سعاد ماهر محمد:مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٣م، ج ٥ ، ص ١٦٢.
جـ- جامع الكاشف بالمحلة الكبرى والذي يرجع للقرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي (شكل ١٤).
[٧]بالطبع كانت تلك الطبقة من الأغنياء ولديها القدرة المادية على تشييد العمائر الدينية ، تمثل ذلك في عدة نماذج منها : أ- المدرسة المُعِينِيَّة التي شيدها محمد معين الدين أحد كبار التجار بدمياط سنة ٨٥٤-٨٦١هـ/ ١٤٥٠-١٤٥٦م ، وعملت بها إضافات في العصر العثماني وتعد من روائع العمائر الدينية بالوجه البحري (لوحة ١٣-١٥، شكل ٨ - ٩).
السخاوى ، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص ١٤؛ محمد موافي: المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا ، ص ٢٦٣ ــ ٢٨٧؛ محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٥.
ب- الجامع الكبير أو جامع الرويعي والمعروف بجامع زغلول برشيد ، جدده اثنان من كبار تجار رشيد وهما: على زغلول وأحمد الرويعي ٩٨٣- ١٠١٦ هـ/ ١٥٧٥- ١٦٠٧م (لوحة ٥ ،٦، شكل٤).
حمزة عبد العزيز بدر: مسجد الرويعي برشيد المعروف بمسجد زغلول١٠١٦هـ/١٦٠٧م ، بحث ضمن ندوة تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني١٥١٧-١٧٩٨م،مجلة كلية

دين [٨] وغيرهم.

الآداب جامعة القاهرة ،١٩٩٢م، ص٣٣٠ - ٣٥٢ ؛ محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل: رشيد النشأة الازدهار الانحسار، دار الآفاق العربية،١٩٩٩م،ص٨٥-٨٧ ؛ محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد، المحلة الكبرى ، طبعة أولى،١٩٩٣ م، ص٢٠- ١٧.

ج- جامع الشريف المغربي بالمحلة الكبرى ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، من بناء أحد التجار المغاربة الذين استقروا بالمدينة (شكل ١٣).

[٩]يجب ملاحظة الفارق فيما ورد بالمصادر التاريخية بين العمائر التي شُـيدت لبعض الصوفية بعد وفاتهم اعتقاداً من الناس فيهم ، كالعمارة التي أجريت للجامع الأحمدي بطنطا في عهد كل من : السلطان قايتباي سنة٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م ، والوالي على بك الكبير سنة١١٨٢- ١١٨٦هـ/١٧٦٨-١٧٧٢م، وعمارة جامع أبى العباس المرسى بالإسكندرية، وعمارة جامع عبد الرحيم القنائي بمدينة فوه ١١٣٣هـ /١٧٢٠م(لوحة ١٢ ، شكل ١٦)، وهو مدفون أصلاً في مدينة قنا- وتلك التي أجراها الصوفية ورجال الدين بأنفسهم لمنشآت حملت أسمائهم ، مارسوا فيها النشاط الديني والتعليمي كالتدريس والتصوف.

ومن أمثلة ذلك النماذج التالية: أ- زاوية السادة الطُوَاينيِّة بالمحلة الكبرى ، وهى من إنشاء الصوفي زين الدين أبو بكر عمر الطُوَيْني سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م ، وتحولت فيما بعد إلى جامع كبير تم إزالته من قبل الأهالي عام ٢٠٠٧م .

ابن حجر: إنباء الغمر ، جـ٨ ، ص ٥١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ١٢٤ ، ١٢٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، جـ٩، ص ١٧٧.

ب- جامع الحنفي بن كتيلة بالمحلة الكبرى ، قام ببنائه الصوفي الشيخ: محمد بن كتيلة سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م ، وقد جُدد الجامع في العصر العثماني وبقى منه للآن مئذنته المملوكية و قبة مؤرخة بسنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م .

السخاوي: الضوء اللامع، جـ ٨، ص ٢٤٨؛ الشعراني: الطبقات الكبرى، جـ ٢، ص ٨٨ - ١٠١.

تفيده عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ، ص ١٢١؛مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ٣٣.

جـ- جامعا الغمري :بميت غمر والمحلة الكبرى (التوبة) ٨٩٩-٩٠٥هـ/١٤٩٣-١٤٩٩م، وهما من إنشاء الصوفي أحمد بن محمد الغمري الأصل ثم المحلى، وقد أزيل الجامعان ولم يتبق منهما سوى مئذنتيهما.

أرشيف وزارة الأوقاف : وثيقة رقم ٧٨٧ ، صادرة من محكمة ميت غمر، موضوع التصرف (وقف)- المتصرف (سيدى أبى العباس أحمد الغمري بن الشيخ عبد الله محمد الغمري الواسطى)- التاريخ (١٠ رمضان ٩٠٥هـ / ١٤٩٩م) ؛ السخاوي: الضوء اللامع، جـ ٢، ص ١٦١ ، ١٦٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ ٨، ص ٢٥، ٢٦.

الشعراني: الطبقات الكبرى، جـ ٢، ص ١٢١، ١٢٢؛ الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، جـ ٢، ص ٢٣٣؛ ؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني ،ص٣٧ ، ٣٨ ، ١٧١ ، ١٧٢؛ ميكل ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني ، ص ٢٠٩.

د- جامع أبى العباس الحريثي بالمحلة الكبرى ٩٤٥-٩٥١هـ/١٥٣٨-١٥٤٤م، من بناء الصوفي الشهير أبى العباس الحريثى المتوفي سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م ، والمدفون في زاويته بدمياط ، وأكمل عمارته من بعده ولداه سنة٩٥١هـ/١٥٤٤م .

على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج١٥ ، ص ١٨؛ نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج٢ ، ص٢٥٤ ؛

٢- كثرة الأوقاف التي أوقفها السلاطين والولاة على المماليك [٩]، وعلى عمائرهم بالقاهرة [١٠]، فضلاً عن الأوقاف السلطانية، وأوقاف الدواوين مثل ديوان المفرد [١١] والذخيرة الشريفة (الجبخانه) [١٢]، وكانت معظم هذه الأوقاف في مدن وقرى الوجه

تفيده عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ، ص٢٨٣-٢٩٧ ؛ توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ص ٥٣ ؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني،ص٤٥،٤٤.

هـ- مدرسة أحمد البجم بأبيار ١٠٣١هـ/١٦٢٢م وترجع أصولها للعصر الأيوبي ، لكن ترجع عمارتها الحالية للعصر العثماني (لوحة ٢١-٢٣ ، شكل ٣٥).

تفيده عبد الجواد :الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ، ص ١٥١-١٦١؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ٩٠ ، ٩٥.

[٩]ارتبط نظام الإقطاع في مصر في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م أساساً بالأرض الزراعية ، وعبر المقريزي عن ذلك بقوله " وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا فإن أراضى مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده ، وفي الروك الناصري أمر الناصر محمد بن قلاوون بإفراد عشرة قراريط لخاصته و أربعة عشر قيراطاً لجميع الجيش من أمراء وأجناد .

أرشيف وزارة الأوقاف: وثيقة رقم ٧٩٧ ،المحكمة (الصالحية)- موضوع التصرف (وقف)- المتصرف (الأمير محمود بن عبد الله)- تاريخ الوثيقة (١٣رجب سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)؛ محمد محمد أمين: منشور بمنح إقطاع من عصر السلطان الغوري (وثائق توزيع الإقطاع في مصر في عصر سلاطين المماليك) ، بحث ضمن مجلة حوليات إسلامية ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، المجلد التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٢ ، ٣.

[١٠]دار الوثائق القومية: حجة وقف السلطان الأشرف أبو النصر إينال ، رقم ٣٤٦ ، موضوع التصرف (وقف) ، المتصرف فيه(أراضى زراعية بالدقهلية والشرقية وسنديون)، تاريخ الحجة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م ،٩٢١هـ/ ١٥١٥م) ؛ دار الوثائق القومية: حجة وقف القاضي الزيني أبو بكر يحيى، رقم١١٠، موضوع التصرف(وقف)،المتصرف فيه: أراضي زراعية بالمنوفية والدقهلية و فارسكور ، تاريخ الحجة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م).

[١١]ديوان أحدثه السلطان الظاهر برقوق في سلطنته وأفرد له بلاداً ، وأقام له المباشرين وجعل فيه الإستادارة الكبيرة ، ورتب عليه نفقه ممالكيه من جامكيات وعليف وكسوة وغير ذلك ، قال القلقشندى "وليس هو المخترع لهذا الاسم، بل رأيت في ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على إنه كان للخليفة ديواناً يسمى بالديوان المفرد".

القلقشندي: صبح الأعشى، طبعة بيروت، جـ ٢، ص ٥٢٤ ؛ على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ ٩، ص ٣٥؛ أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، دار المعارف، ص ٧٢؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ، ١٩٤٥م ،ص ٢٣٤ ؛ محمد رمزى: تعليقات على كتاب النجوم الزاهرة، جـ ١٢، ص ٣٠٠، حاشية ٤.

[١٢]الجبخانه: لفظ تركي مكون من: جبة أي الدرع المكون من أكثر من جزء، وتعنى صانع الدروع، واستعمل اللفظ في العصر المملوكي بالمعنى نفسه في كلمة زردكاش، أما كلمة خانة فهي الدار، وجبخانه هو مكان حفظ الدروع في الأصل ثم شمل أيضاً مكان حفظ البارود والقنابل والأسلحة والذخائر .

محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ،دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٠م ،ص٥١؛

البحري [١٣]، ونظراً لوجود عديد من هذه الأوقاف فقد كانت سبباً في تشييد بعض من هؤلاء الأمراء أصحاب الأوقاف - عمائر دينية بأماكن أوقافهم [١٤] .

٣- تشترك هذه العمائر في استخدامها لعناصر البيئة المحلية المتاحة من مواد البناء المختلفة كالطوب الآجر والطوب المنجور[١٥] (لوحة١ -٣ ، ٥) والخشب البلدي ، بينما ندر استعمال الحجر[١٦] والرخام لعدم وجود محاجر قريبة .

الجدير بالذكر أنه كانت توجد جبخانات متنقلة استعملت في الحروب و المعارك الصغيرة .
الجبرتى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق :عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠٣م ، ج ٧ ، ص ٢٦ ؛
وقد ورد في النص التأسيسي لمنبر جامع ولى الدين بالمحلة الكبرى والمؤرخ بسنة١٠٣٧هـ /١٧٥٢م في حشوتين ما نصه : أنشأ هذا المنبر العبد الفقير إلى الله/ إبراهيم جركس بيه ناظر الجبخانه الشريفة .

[١٣] شرف الدين يحيى بن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، المطبعة الأهلية،١٨٩٨م، ص١٤ ، ٢٠ ،٢٥ ، ٤٤ ، ٥٦ ،٦٢-٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١٢، ١١٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨.

[١٤] من بين هؤلاء الأمراء على سبيل المثال:الأمير قطلقتمر العلائي ، أحد أمراء السلطان الناصر محمد ، وكانت قرية أبيج التابعة لبلدة أبيار بالغربية ضمن إقطاعه الذي آل بعد وفاته إلى الأمير أزدمر الإبراهيمي ، وقد بنيبها جامعاً سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م ،وهو مندثر حالياً .
ابن الجيعان: التحفة السنية ، ص ٧١ ، ١٠٧ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ،الجزء الثاني،الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م ، ص ٥٤٨؛ تقي الدين المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور،ج٣ ، ق ١، الطبعة الثانية ، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية ، القاهرة،٢٠٠٩م ،ص٧٥،٩٩ ، ١٠٠؛ مجدي علوان :إضافة جديدة إلى النقوش الكتابية الإسلامية المكتشفة في مصر،ص١٠٥ ، ١٠٧ .

[١٥] امتازت تلك العمائر بجمال التشكيل البنائي بالآجر، حيث استعمل بكثرة في الواجهات والمداخل وحول عقود المحاريب وفي الأحزمة أسفل شرفات المؤذنين بالمآذن، وأصبح من أهم السمات العامة المميزة لعمائر الدلتا في مدن:الإسكندرية ورشيد وفوه ومطوبس وإدفينا وأبيار والمحلة وسمنود ودمياط.
حسن عبد الوهاب:البناء بالطوب في العصر الإسلامي،مجلة العمارة، العدد٣-٤،المجلد الثاني، ١٩٤٠م ، ص٢٢٢ ،٢٢٣ ؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني ،ص١٩٩-٢٠٣ ؛ ياسر إسماعيل عبد السلام: العوامل المؤثرة على مخططات العمائر الدينية العثمانية في القاهرة والوجه البحري، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة،٢٠١١م، ص١١٠،١٠٨.

[١٦] استعمل الحجر في بناء وتشكيل واجهات عدد محدود جداً من عمائر الدلتا الدينية ، انحصر في واجهة مدرستين بدمياط هما :المعينية ٨٥٤-٨٦١هـ/١٤٥٠-١٤٥٦م(لوحة ١٣ ،شكل ٨)، والرضوانية ١٠٢٩ هـ /١٦١٩م (لوحة ١٦)، بينما بنيت ثلاث مآذن فقط بالحجر، في حين اشترك الحجر والطوب في بناء ثلاث مآذن أخرى بنيت قواعدها من الحجر.
مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ١٩٨.

٤- اعتمادها إلى حد كبير على الطرز المعمارية الوافدة إليها من مدينة القاهرة في الوحدات والعناصر المعمارية، وعناصر التشكيل الخارجي و الداخلي مع الاختلاف في النسب والمساحات [١٧].

٥- كثرة طوائف الحرفيين من بنائين ونجارين وغيرهم [١٨] ، وتنقلهم للعمل في مدن الدلتا المختلفة، مما أدى إلى نشر الطرز الفنية بين عمائر تلك المدن ومن أمثلة ذلك:

٥/١- النجار المعلم "عبد الجواد المحلاوي" وأصله من مدينة المحلة الكبرى وله فيها أشغال خشبية متنوعة منها منبر جامع ولى الدين المندثر والمؤرخ بسنة ١٠٣٧هـ / ١٧٥٢م [١٩]، وقد قام بصنع مقصورة ضريح مدرسة أحمد البجم بأبيار١٠٣١هـ/ ٦٢٢م مسجلاً توقيعه عليها بما نصه: " عمل المعلم عبد الجواد المحلاوي ".

٥/٢- المعلم عطية الرشيدي الذي كان من بنائي مدينة رشيد وله فيها عمائر متنوعة، وقام ببناء جامع الحلبي بإدفينا ١١٧٠هـ/١٧٥٦م ، مسجلاً توقيعه على الباب البحري للقبة بما نصه: "عمل المعلم عطية الرشيدي المعروف بابن يوسف البنا[ء] " [٢٠].

و بعد هذا التمهيد الذي يعطى فكرة عامة عن طبيعة العمائر الدينية التي شيدت إبان العصرين المملوكي والعثماني بمدن الدلتا وقراها– فسنتناول دراسة للتخطيط المقارن للعمائر الباقية منها مع نماذج مدينة القاهرة.

بداية : بلغ إجمالي عدد العمائر الأثرية الباقية التي شملتها الدراسة أربعون أثراً ، منها سبعة آثار ترجع للعصر المملوكي ، وثلاثة وثلاثون أثراً ترجع للعصر العثماني [٢١] ، وينبغي أن نشير إلى ثلاثة محاور أساسية قبل دراسة تخطيط عمائر الدلتا الدينية:

---

[١٧] حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ، ص ١٢٧.

[١٨] حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية ، بحث ضمن مجلة المجمع العلمي المصري ، المجلد ٣٦ ، ١٩٥٣-١٩٥٤م ، ص ٥٤٧ – ٥٥٥ ؛ محمد عطا: مدينة دمياط، ص ٧٤٢ – ٧٤٧؛ هند على حسن منصور: طوائف المعمار في مصر من الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر دراسة أثرية حضارية وثائقية ،رسالة دكتوراه، كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م،ص١٢٣- ١٢٥ ، ١٢٧- ١٣١.

[١٩] حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع ، ص ٥٤٨؛ محمود سعد الجندي: أشغال الخشب بعمائر وسط الدلتا الدينية منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٣م ، ص ١٧ ؛ هند على حسن منصور: طوائف المعمار في مصر ، ص ١٣٨.

[٢٠] حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع ، ص ٥٥٣ .

[٢١] سوف نتناول في هذا البحث دراسة جامعين تحت مسمي واحد ، وهو جامع الرويعي أو زغلول، حيث يوجد قسم مملوكي مؤرخ بسنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م، وقسم آخر عثماني مؤرخ بسنة ٩٨٣-١٠١٦هـ/١٥٧٥-١٦٠٧م ، وسيلي تفسير ذلك.

١- أجريت لعمائر ذات أصول مملوكية - عمارة شاملة في العصر العثماني [٢٢] .
٢- تحتفظ بعض العمائر بتخطيطها المملوكي الأصلي ، لكنها تضمنت وحدات معمارية وعناصر تكوين داخلي من العصر العثماني، كالمداخل والقباب الضريحية والمآذن والمنابر[٢٣].
٣- اعتمد تخطيط عمائر مدن الدلتا الدينية وقراها بصفة أساسية على طرز التخطيط الوافد إليها من مدينة القاهرة ، والتي انتشر فيها التخطيط المصري المحلى التي شيدت على نسقه عمائرها خلال العصرين المملوكي و العثماني [٢٤].
هذا ويمكن إحصاء هذه العمائر مكانياً و وظيفياً، وفقاً للنصوص التأسيسية، وحجج الوقف، وما ذكر عنها في المصادر التاريخية طبقاً للجدول والعلاقات البيانية التالية:

م	نوع المنشأة	العدد
١	جامع	٣٥
٢	مدرسة	٤
٣	زاوية	١

[٢٢] من أمثلة ذلك : جامع أبو المكارم بفوه ، وترجع أصوله المعمارية إلى سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م ، لكنه جُدِدَ بالكامل في العصر العثماني سنة١١٤٩هـ/١٧٣٦م (لوحة ١١)، وجامع حسن نصر الله بفوه أيضاً ويرجع تاريخ بناؤه لسنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م ، وجدد سنة ١١١٥هـ/١٧٠١م .
حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص ٣٩ ؛ محمد عبد العزيز السيد : عمائر مدينة فوه العصر العثماني ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٢١ ؛ وليد محمد شحاتة: أساليب التغطية في عمائر وسط الدلتا ، ص ٣٦ .
[٢٣] من أمثلة ذلك : جامع المتولي بالمحلة الكبرى ٨١٣هـ/١٤١٠م وبه منبر مؤرخ بسنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م، وجامع المحلي برشيد ويرجع للعصر المملوكي، أجريت له عمارة سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م، يحتفظ منها بالمداخل والمئذنة والمنبر والقبة الضريحية .
محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل : رشيد النشأة الازدهار الانحسار، ص ٩٢ ؛محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد ، ص ٣٨ ، ٣٩.
[٢٤] محمد حمزة الحداد: الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار، جامعة القاهرة،١٩٩٠م ، ص ٢١ - ٢٤ ؛ محمد حمزة الحداد: عمائر القاهرة الدينية في العصر العثماني ، بحث ضمن مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٣٧ ، ١٩٩٣م ، ص ١٠٥-١١٦ .

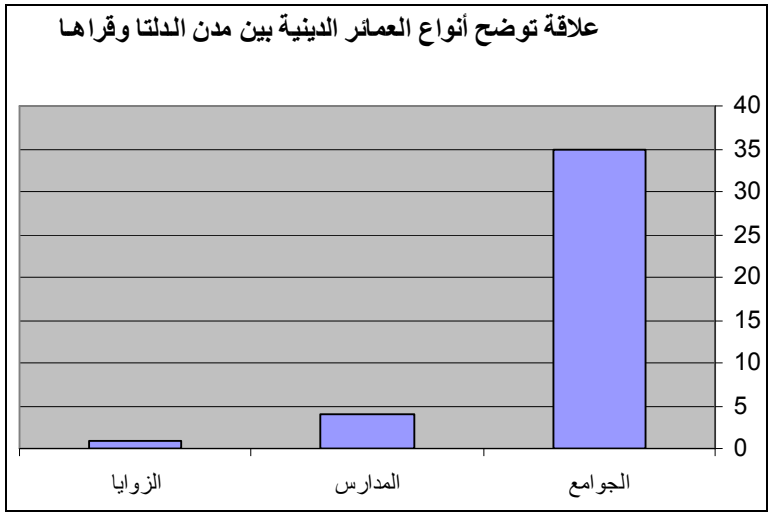

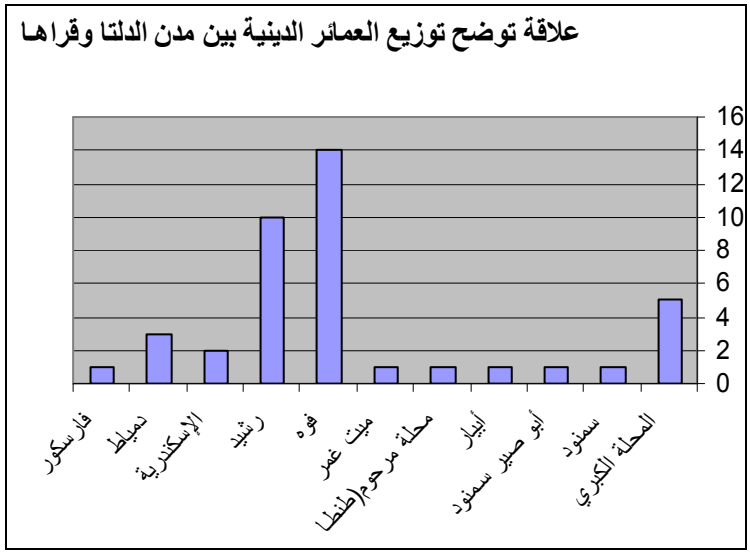

١- عمائر العصر المملوكي:

بقى من العمائر المملوكية في الدلتا سبعة عمائر، من بينها ستة جوامع ومدرسة واحدة فقط .

١/١ – الجوامع: تنحصر هذه الجوامع فيما يلي: جامع عمرو بن العاص أو الفتحى العتيق والمعروف حالياً بأبي المعاطي بدمياط ٧٧١هـ/١٣٦٩م[٢٥] (لوحة١-٣،شكل١)،

[٢٥] من أقدم الجوامع في مدينة دمياط ، ترجع أصوله للعصر الفاطمي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، ذكر المقريزي أثناء زيارته لدمياط أوائل القرن ٩ هـ/١٥م أنه شاهد نقشاً بالخط الكوفي الفاطمي على باب هذا الجامع ، وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي

الجامع الكبير أو جامع المتولي بالمحلة الكبرى٨١٠ -٨١٣هـ/١٤٠٧-١٤١٠م[٢٦] (شكل٢) ،الجامع الكبير أو جامع المتولي بقرية أبو صير مركز سمنود (ق ٩هـ/١٥م) [٢٧] (لوحة٤ ،شكل٣)، و ثلاثة جوامع برشيد هي: زغلول(القسم المملوكي)

بالقاهرة ، الجدير بالذكر أنه بعد انتهاء حملة الملك لويس التاسع على دمياط سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م بستة أشهر – خربت مدينة دمياط ولم يتبق منها سوى هذا الجامع ، سمى بجامع الفتح نسبة لنزول الشيخ فاتح بن عثمان الأسمر التكروري وإقامته به سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، وظل به يلقى دروس العلم، وأجرى له عمارة حتى توفي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م، ودفن بجوار الجامع وعرف منذ ذلك الحين باسم "جامع الفتح" ، و في العصر المملوكي قام الأمير سيف الدين بلبان الحسامي والى دمياط بتجديد الضريح والجامع في عمارته الحالية، وسجل نص هذه العمارة في حشوه خشبية كانت على منبره ، ذكر فيها اسم الآمر بعمل المنبر الحاج شمس الدين الطرابلسي ،وتوقيع النجار الصانع المعلم أحمد بن يوسف سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، ساءت حالته المعمارية في الستينيات من القرن الماضي ، وانتهي المجلس الأعلى للآثار من ترميم شامل له سنة ٢٠١١م .

دار الوثائق القومية: سجلات محكمة دمياط ، سجل رقم ٧٥ ، ص ٦٠؛ جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً ، ص ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ؛ حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص ١٩ ، ٢٠ ؛ حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع ، ص ٥٤٧ ؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون،ج٤، ص ٢٤٤ ، ٢٤٧ ؛ شمس الدين أبى عبد الله محمد : رحلة ابن بطوطة ، ص ١٩٩ ؛مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ١٩١ ؛ محمد عطا:مدينة دمياط ،ص٦٢٤ ، ٦٢٥؛ محاضر لجنة حفظ الآثار العربية: كراسة رقم ٤١ ، ١٩٥٤-١٩٦١م ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٦١ ؛

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1927-1929 , Le Caire 1934 , p.51-53,pl.VI.

[٢٦] شيد هذا الجامع في العصر المملوكي الجركسي ، وهو الجامع الكبير بالمحلة الكبرى و كانت تعلق بمدخله المراسيم السلطانية ، تبقى منها مرسوم باسم السلطان الظاهر جقمق مؤرخ بسنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م، كما خُصص لصلاة متولى الحكم الشريف بالمحلة خلال العصرين المملوكي والعثماني، ويضم منبراً مؤرخاً بسنة ١١٣٧هـ/١٢٢٤م، وهو من أكمل العمائر الباقية بالدلتا، توالت عليه الإضافات المعمارية عبر العصور كان آخرها سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م، ومن المرجح أن هذه الإضافات كانت عبارة عن توسعات في الجهة الجنوبية الشرقية ، حيث لوحظ إنشائياً إن أروقة وبائكات الجزء الجنوبي الغربي وموضع المئذنة بهما اختلافات معمارية عن باقى الأجزاء تتمثل في: اتجاه أرجل العقود ومنسوبها في الجهة البحرية ، عدم انتظام الرواق البحري حيث يتكون من بائكتين ثم يضيق مكوناً بائكة واحدة في الجهة الغربية ، منطقة اتصال قاعدة المئذنة بالبائكات الملاصقة لها(شكل ٢) .

مجدى علوان : مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

[٢٧] من خلال التخطيط المقارن لهذا الجامع وقياساً على جوامع مدينة المحلة الكبرى وسمنود المندثرة فإنه يمكن تأريخ هذا الجامع إلى بالقرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى على أقل تقدير، على الرغم من احتواءه على مئذنة ترجع للقرن ١٢هـ/١٨م.

٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م[٢٨] (لوحة٥،٦،شكل ٤)، والمحلي [٢٩](لوحة٧،شكل٥ ، ٦)، والجندي[٣٠] (لوحة٨ ، ٩،شكل٧).

[٢٨] يُعد هذا الجامع من أكبر الجوامع الأثرية بالدلتا، أطلقت عليه الوثائق اسم الجامع الكبير، أثيرت حول تاريخه عدة آراء جدليه، حيث قامت إحدى الدراسات بتصنيفه تاريخياً والوقوف على منشئيه من خلال الوثائق، وفي دراسة وثائقية أخرى تم تفنيد هذا التصنيف (لوحة ٥ ،٦، شكل٤).
حمزة عبد العزيز بدر: مسجد الرويعي برشيد المعروف بمسجد زغلول١٠١٦هـ/١٦٠٧م ، ص٣٣٠ -٣٥٢؛ محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل : رشيد النشأة الازدهار الانحسار، ص ٨٥- ٨٧؛
محمود درويش : المساجد الأثرية برشيد ، ص ١٧ - ٢٠.
ومهما يكن من أمر فإنه يمكن تأريخ هذا الجامع بناء على بعض الشواهد منها البقايا الأثرية من القسم الغربي المملوكي ، ومقارنته بعمائر أخرى مشابهة ، ويمكن سياق ذلك في النقاط التالية:
١- إطلاق الوثائق على هذا الجامع اسم الجامع الكبير دليل على أنه من أقدم الجوامع التي بنيت برشيد ، وهى تسمية وجدت في العديد من مدن وقرى الدلتا بغرض تمييز أقدم الجوامع وأكبرها بها عن باقي الجوامع مثل مدن: رشيد - فوه – المحلة الكبرى- أبيار– سمنود - أبوصير مركز سمنود- دمياط ، المنزلة ،وغالباً ما كانت تعلق بمداخله المراسيم السلطانية كوسيلة إعلامية للناس .
٢- بُنِيَ الجامع بالطوب والمونة أسروميل مع التدعيم بميد خشبية مفرزة ، وجاء تخطيطه على هيئة صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة ، قسمت إلى بائكات من أعمدة رخامية ودعامات طوبية تحمل عقوداً مدببة تسير أرجلها في اتجاهين: مواز وعمودي على جدار القبلة ، تحصر بينها مناطق مربعة تسقفها قباب ضحلة ، ويربط بين أرجل العقود أوتار خشبية برسم القناديل (لوحة ٥).
٣- يحتفظ هذا القسم ببقايا المئذنة المملوكية والمدخل البحري الذي ثبت به النص التأسيسي المؤرخ بسنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م.
٤- بمقارنة هذا الجامع بجامع أبو المعاطي بدمياط والمؤرخ بسنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م (لوحة١ ،٢) من حيث مواد البناء والعناصر الإنشائية والتخطيط الداخلي والمداخل - يتبين لنا أن هناك تشابهاً كبيراً بين الجامعين،وبناء عليه فإن القسم الغربيمن الجامع المسمى خطأً باسم جامع زغلول يرجع للعصر المملوكي البحري سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م ، وتوالت عليه الإضافات في العصور التالية مما أدى إلى تكوين قسم آخر في العصر العثماني في الجهة الشرقية في عمارة أجراها التاجران: أحمد الرويعي والحاج زغلول ، مؤرخة في الفترة ٩٨٣-١٠١٦هـ/١٥٧٥-١٦٠٧م (لوحة٦)، ولذلك فسوف نتناول دراسة الجامع المملوكي في هذا الجزء من البحث ، والجامع العثماني ضمن العمائر العثمانية .
مجدى علوان : مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .
[٢٩] ترجع أصول هذا الجامع إلى القرن ١٠هـ/١٦م حسبما أشارت العديد من الوثائق ، وأجريت له عمارة سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م ، شملت: المئذنة والأعمال الخشبية والضريح .
محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل : رشيد النشأة الازدهار الانحسار ، ص ٩٢ ؛ محمود درويش : المساجد الأثرية برشيد ، ص ٣٨.
[٣٠]ينسب للأمير محمد الجندي ، وترجع أصوله المعمارية ومنها التخطيط ومئذنته إلى ما قبل سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م حسبما أشارت العديد من الوثائق إلى ذلك ، بني بالآجر فيما عدا قاعدة المئذنة فقط فبنيت من الحجر الجيري، أجريت له عمارة سنة ١١٣٣هـ/١٧٢١م، كما هو مسجل على المنبر الخشبي والعتب الخشبي للمدخل الشمالي الشرقي.

أما بالنسبة لتخطيط هذه الجوامع فنستطيع أن نميز طرازاً واحداً تشترك فيه ، وهو الطراز الشائع بها والوافد إليها من مدينة القاهرة ، ويتمثل في التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة ، الذي يمثل التخطيط التقليدي لعمارة الجوامع في مصر الإسلامية ، ويتكون بصفة عامة من صحن أوسط مكشوف مستطيل محاط بأربعة أروقة ، أكبرها وأعمقها رواق القبلة ، نظمت في كل رواق بائكات ذات عقود مدببة من الطوب، محمولة إما علي أعمدة من الرخام أو الجرانيت الأحمر الوردي أو الأسود، وإما على دعامات من الطوب أو الحجر ، يسير اتجاه أرجل هذه العقود في اتجاهين: إما موازٍ لجدار القبلة وهو الشائع ، وإما عمودي عليها ، يسقفها سقف خشبي مسطح من عروق وألواح كما في جامع أبى المعاطي، وجامعي المتولي بالمحلة وأبو صير، و جامع المحلى برشيد ، أو تسقفها قباب ضحلة تتكئ على مثلثات ركنية بسيطة نتجت من تقاطع أرجل العقود الموازية والعمودية كما في جامعي زغلول والجندي برشيد (لوحة٢ ، ٤ ، ٥ -٩ ، شكل١-٥ ،٧).

١/١/١- وصف تخطيط الجوامع:

١/١/٢/١- جامع أبي المعاطي:

كشفت أعمال الترميم المعماري التي قام بها المجلس الأعلى للآثار للجامع عام ٢٠١١م ، من خلال مشروع كبير يستند إنشائياً على بقايا قواعد الأعمدة الرخامية والجرانيتية ، والدعامات الطوبية ، وأساسات الحوائط الحاملة للجدران(لوحة١-٣)- أن التخطيط العام للجامع عبارة عن مضلع غير منتظم لمستطيل مساحته الكلية ٤٠٨١ م^{٢}، صممت كتلة المحراب في ركنه الجنوبي الشرقي في جدار طوله ٢٢,٤٠م ، يميل عن الضلعين الجنوبي والشرقي بزاوية مقدارها ١٢٠°(شكل١)، يتوسط الجامع صحن أوسط مكشوف مستطيل أبعاده ٣٦×٢٢,٣٠م^{٢} محاط بأربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، تتعامد عليه عقود بائكات الأروقة من جهاته الأربع ، يتميز التخطيط بوجود مجاز قاطع لبائكات الرواق الجنوبي يربط بينه وبين المدخل الرئيس الجنوبي (لوحة ٢).

الرواق الجنوبى: يقسمه المجاز القاطع إلى قسمين ، قسم شرقي به كتلة المحراب ، يتكون من أربع بائكات من عقود مدببة يسير اتجاه أرجلها موازية للجدار الجنوبي، تتعامد عليها ثلاث بائكات يسير اتجاه أرجل عقودها عمودي على الجدار نفسه(شكل١)، وقسم جنوبى مكون من أربع بائكات موازية للجدار الجنوبي ، تقطعها أربع بائكات تتعامد على الجدار نفسه.

الرواق الغربي: يتكون من سبع بائكات تتعامد على الجدار الغربي .

الرواق الشمالي: يتكون من أربعة عشر بائكة عمودية على الجدار الشمالي .

محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل : رشيد النشأة الازدهار الانحسار ،ص ٨٩؛ محمود درويش : المساجد الأثرية برشيد ، ص ٣٨.

الرواق الشمالي الشرقي: يتكون من بائكتين موازتين للجدار الشمالي الشرقي تكتنفهما بائكتان أخريان عموديتان على الجدار نفسه .

١/١/٢/٢- جامع المتولي بالمحلة الكبرى:

عبارة عن صحن أوسط مكشوف مستطيل أبعاده ٢٢,٩٠ × ٢٢,٥٠م^{٢} ، تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، تم تقسيمه إلى أربع بائكات تتكون من أعمدة رخامية وجرانيتية متنوعة ، تحمل عقوداً مدببة تسير أرجلها موازية لجدار القبلة ، يقابله الرواق الشمالي الغربي ويتكون من بائكتين ، أما الرواقان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي فيشتملان على خمس بوائك ، ويشرفان على الصحن ببائكة من عقود عمودية على جدار القبلة (شكل ٢).

١/١/٢/٣- جامع المتولي بأبوصير :

عبارة عن مستطيل مقسم إلى أربعة أروقة حول صحن مكشوف أبعاده ١٠,٠٥×٩,٢ م^{٢}، أكبرها رواق القبلة ، حيث يشتمل على ثلاث بائكات من أعمده رخامية تحمل عقوداً مدببة موازية لجدار القبلة ، يقابله الرواق البحري ويشتمل على بائكة واحدة ، أما الرواقان الجانبيان فيشتمل كل منهما على ثلاث بائكات من عقود موازية لجدار القبلة ويشرفان على الصحن ببائكة عقودها عمودية على جدار القبلة (لوحة٤، شكل ٣).

١/١/٢/٤- جامع زغلول(القسم المملوكي):-

عبارة عن صحن وأربعة أروقة ، قسم رواق القبلة فيه إلى خمس بائكات ، والرواق البحري إلى بائكة واحدة ، أما الرواقان الجانبيان فمن ثلاث بائكات، يسقفها جميعاً قباب ضحلة تستند علي حنايا ركنية بسيطة، وتميل كتلة المحراب عن الضلعين الجنوبي و الشرقي بزاوية مقدارها ١٢٠° كما في جامع أبو المعاطي بدمياط (لوحة٣،شكل١،٤).

١/١/٢/٥-جامع المحلي:

التخطيط العام عبارة عن مستطيل به انحرافات في الضلعين الجنوبي والشرقي ، التخطيط الداخلي عبارة عن صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة غير منتظمة تم تقسيمها إلى بائكات عبارة عن أعمدة رخامية وجرانيتية مستديرة تحمل عقوداً مدببة يسقفها سقف خشبي من عروق وألواح (لوحة ٧) على النحو التالي:

رواق القبلة: مقسم إلى سبع بائكات من الأعمدة لرخامية المستديرة تحمل عقوداً مدببة تسير أرجلها موازية لجدار القبلة.

الرواق الشمالي الغربي:من أربع بائكات عبارة عن عقود مدببة تسير أرجلها موازية لجدار القبلة.

الرواق الشمالي الشرقي: مقسم إلى أربع بائكات تحمل عقوداً مدببة أرجلها موا لجدار القبلة ، وتشرف على الصحن ببائكة من عقدين .

الرواق الجنوبي الغربي:من ثلاث بائكات من أعمدة تحمل عقوداً مدببة .

صممت كتلة المحراب في ركنه الجنوبي الشرقي في جدار طوله ٨م ، يميل عن الضلع الجنوبي بزاوية مقدارها ١٢٠° ، متشابهة في ذلك مع جامعي : أبو المعاطي وزغلول السابق ذكرهما ، وتقع خلفه المئذنة العثمانية (شكل ١ ، ٤ ، ٥).

١/١/٢/٦-جامع الجندي:-

التصميم العام عبارة عن مستطيل غير منتظم به انحرافات في جدره الخارجية نتج عنها وجود فراغات غير منتظمة تم استغلالها مع التخطيط الداخلي في عمل حجرات استخدمت كحجرات ومرافق خدمية (شكل٧)، أما التخطيط الداخلي فعبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة ، أكبرها رواق القبلة ، قسمت إلى بائكات عبارة عن أعمدة من نوعين: رخامية ذات تيجان كورنثية وأخرى حجرية مثمنة ومستديرة ، ودعامات من الطوب ، تحمل عقوداً مدببة يسير اتجاه أرجلها موازٍ وعمودي على جدار القبلة حيث تكوّن مناطق مربعة تسقفها قباب ضحلة محمولة على مناطق انتقال عبارة عن حنايا ركنية بسيطة ، يتكون رواق القبلة من مساحة مستطيلة تشتمل على ثلاث بائكات ، أما الرواق البحري فيشتمل على بائكتين ، بينما يتكون الرواق الجنوبي الغربي من أربع بائكات ، أما الرواق الشمالي الشرقي فيتكون من بائكتين البائكة الخلفية عبارة عن دعامات من الآجر(لوحة ٨ ، شكل ٥).

١/١/٢- ملاحظات على التخطيط :

١/١/١/١- نظمت كتلة المحراب في جدار في الركن الجنوبي الشرقي يميل عن الجدر المستقيمة للجامع بزاوية منفرجة كما في جامعي: أبو المعاطي وزغلول والمحلي (شكل ١ ، ٤ ،٥)، وهو أمر قليل الحدوث ، إذ إن الغالب وضع كتلة المحراب في جدار مستقيم طويل كما في باقي الجوامع.

١/١/١/٢- وجود مجاز قاطع يصل بين كتلة المدخل الجنوبي الرئيس وصحن جامع أبو المعاطي ليس له علاقة بكتلة المحراب (شكل١ ،لوحة ٢).

١/١/١/٣- استخدام القباب الضحلة المبنية بالطوب كأحد أساليب التغطية في جامعي : زغلول والجندي(لوحة٥ ، ٦، ٩).

وعند تأصيل هذا الطراز من التخطيط نجد أنه ينتمي إلي التخطيط التقليدي لعمارة المساجد الجامعة في العمارة الإسلامية ، والتي اتخذت من تخطيط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أنموذجاً أساسياً لها مع الاختلاف في النسب والمساحات والتفاصيل المعمارية كعدد الأروقة مثلاً ، وقد شاع هذا الطراز بين عمارة الجوامع في مصر وبلدان العالم الإسلامي [٣١] ، منذ الفتح الإسلامي وحتى ظهور طراز الإيوانات ، ومن أمثلة هذا التخطيط بين جوامع مدينة القاهرة : جامع أحمد بن طولون٢٦٣- ٢٦٥هـ/ ٨٧٦- ٨٧٨ م ، الجامع الأزهر ٣٥٩-٣٦١هـ/٩٧٠-٩٧٢م، جامع الحاكم٣٨٠-٤٠٣هـ/٩٩٠-١٠١٣م ، ومن أمثلة جوامع العصر المملوكي

[٣١] غاسبري ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، ترجمة:علي الصادق حسنين، طرابلس، ١٩٧٣م،ص ٣٢ ، ٣٦-٤١.

البحري:جامع الظاهر بيبرس بميدان الظاهر٦٦٥-٦٦٧هـ/١٢٦٦- ١٢٦٩م ، جامع قوصون بالحلمية (مندثر)٧٣٠هـ/١٣٣٠م، جامع أُلَماس الحاجب بالحلمية ٧٣٠هـ /١٣٣٠م ، جامع الناصر محمد بالقلعة٧٣٥هـ/١٣٣٤م،جامع الطنبغا المارداني بالتبانة٧٤٠هـ/١٣٤٠م، جامع آق سنقر الناصري بشارع باب الوزير٧٤٨هـ/١٣١٧م،جامع شيخون العمري بشارع الصليبة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩م ، ومن جوامع عصر المماليك الجراكسة : جامع المؤيد شيخ المحمودي ٨١٨-٨٢٣هـ/ ١٤١٥-١٤٢٠م ، جامع لاجين السيفي بالسيدة زينب٨٥٣هـ/١٤٤٩م،جامع القاضي يحيي بالحبانية ٨٥٦ هـ /١٤٥٢م ، جامع ابن بردبك بشارع أم الغلام ٨٦٥هـ/١٤٦٠م .

١/١/٣- العلاقة بين التخطيط والصحن:

نال الصحن أهمية كبيرة في التخطيط العام للجوامع موضع البحث باعتباره مركز هذا التخطيط ، حرص المعمار من خلاله على إيجاد نسبة وتناسب بين المساحة الكلية الداخلية للجامع والمساحة المخصصة للصحن، ومن خلال دراسة الجوامع موضع البحث تبين ما هو موضح بالجدول والعلاقة البيانية التاليين:

م	الجامع	إجمالي المساحة	مساحة الصحن	نسبة الصحن من المساحة
١	أبو المعاطي	٣٩٥٢م٢	٨٠٢,٨ م٢	٣١,٧ %
٢	المتولي بالمحلة	١٨٧١,١٠م٢	٤٤١ م٢	٢٣,٥٠ %
٣	المتولي بأبو صير	٥٦٠,١٤ م٢	٨٣,٩٢ م٢	١٥ %
٤	زغلول	-	-	-
٥	المحلي	١٧٣٥ م٢	٥٦,٤٠ م٢	٣,٢١ %
٦	الجندي	٣٠٢ م٢	٣٠,١٥ م٢	١٠ %

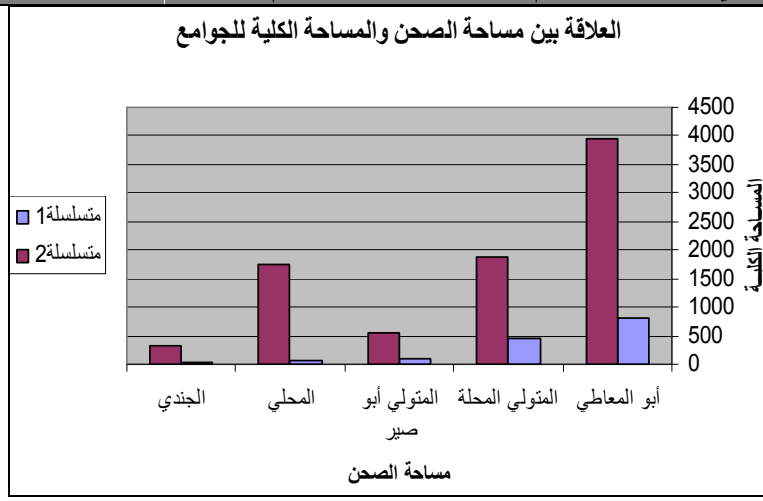

ويلاحظ من خلال هذه العلاقة ما يلي:

١/١/٣/١- يوجد تناسب طردي بين المساحة الداخلية للجامع والمساحة التي يشغلها الصحن ، وهو أمر طبيعي يحقق وظيفة الصحن [٣٢].

١/١/٣/٢- تمثلت أكبر مساحة للصحن في جامع أبي المعاطي نظراً لكبر مساحته الكلية (شكل١).

١/١/٣/٣- تمثلت أصغر مساحة للصحن في جامع المحلي ، وهو أمر غير طبيعي لا يتناسب مع كبر مساحته الكلية (شكل٥) ، حيث جاءت بنسبة٣,٢١% ، والسبب في ذلك أن التوسعات التي تمت عبر الفترات التالية في الأروقة تمت على حساب النسبة المخصصة للصحن ، وذلك لعدم وجود فراغ خارجي يحيط بالجامع لظروف موقعة، مما أثر على ضعف الإضاءة الطبيعية الداخلية للجامع والتي تتم من خلال الصحن.

١/٢ – المدارس :

بقيت مدرسة واحدة فقط من مدارس العصر المملوكي التي كانت قائمة في الدلتا، وهي المدرسة المُعِينِيَّة بدمياط[٣٣]، والتي تعد بحق من روائع العمائر الإسلامية في مصر بصفة عامة والدلتا بصفة خاصة [٣٤] (لوحة١٣ -١٥، شكل٨ ، ٩).

---

[٣٢] من أهم عناصر الانتفاع بالمنشأة و من أهم وظائفه: التهوية والإضاءة وتيسير الاتصال والحركة بين الإيوانات والأروقة والمرافق الداخلية المختلفة.
محمد عبد الستار:نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، دار الوفاء للطباعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٥٧ -٢٥٩ ، ٣٩١ ، ٤٢١-٤٢٢.

[٣٣] لم تستقر الدراسات السابقة التي تناولت هذه المنشأة من قبل والتي سيلي ذكرها - علي مسمى وظيفي صحيح لها، ونعتوها بالجامع والمدرسة والخانقاه،وتم تحديد المسمى الوظيفي الصحيح لها وهومصطلح "المدرسة" ، من خلال دراسة أجراها الباحث عنها في ضوء ذكرها في وثائق الوقف المتعلقة بها ، والإشارة المصدرية التي أوردها السخاوي عنها ، وتطبيقاً علي معايير إطلاق المسمى المناسب علي العمائر المملوكية بمدينة القاهرة ، والتي من أهمها رغبة الواقف وإمكاناته المادية.
مجدي علوان: المدرسة المُعِينِيَّة بدمياط (٨٥٤-٨٦١هـ/١٤٥٠-١٤٥٦م) دراسة آثارية معمارية ، بحث قيد النشر ضمن مجلة لبده الكبري ، كلية الآثار والسياحة ، جامعة المرقب، ليبيا ،العدد الأول، ٢٠١٤م ؛ محمد عبد الستار عثمان، مسميات المنشآت الدينية المملوكية وعلاقتها بالتخطيط والوظيفة ، دار الوفاء للطباعة ،الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٣٤- ٨٣.

[٣٤] أشاد فرنس باشا مهندس ديوان الأوقاف ولجنة حفظ الآثار العربية ، وأحد الأجانب الذين عملوا في دراسة التراث المعماري الإسلامي بمصر والحفاظ عليه- بهذه المدرسة ، حيث جاء في التقرير الذي أعده سنة ١٩٨٣م لتسجيل المدرسة المعينية ضمن الآثار الإسلامية ما يفيد ذلك ، و قال إنها تضارع عمائر القاهرة حيث قال " جامع المعيني بدمياط...مهم في حد ذاته وتاريخه من الجيل الثامن عشر للهجرة... وأن أجزاء هذا المسجد فيها دلالة علي تاريخ الصناعة في أقاليم القطر وتستحق كل التفاتنا إليها فإن المباني معمولة بدقة كبيرة وبغاية التناسب..." ، اهتمت بها لجنة حفظ الآثار العربية وأعدت لها مقايسات معمارية لترميمها.
كراسات لجنة حفظ الآثار العربية:المجموعة العاشرة،تقرير القومسيون الثاني،ترجمة:إلياس اسكندر حليم،١٨٩٣م، ص٥ ، ٧ ، ٨.

يرجع تاريخ بنائها إلي العصر المملوكي الجركسي سنة ٨٥٤-٨٦١هـ/١٤٥٠-١٤٥٦م وتنسب لمحمد بن محمد بن محمد معين الدين[٣٥] ، أجريت عليها بعض الترميمات المعمارية في العصر العثماني سنة١٠٩٠- ١١٠٩هـ/ ١٦٧٩-١٦٩٧م ، وأضيفت إليها بعض الأشغال الخشبية كالمنبر وحجاب الضريح ودكة المبلغ في عصر محمد على سنة ١٢٣٦-١٢٣٨هـ/ ١٨٢٠-١٨٢٢م، لكن تلك الإضافات لم تغير من تخطيطها الأصلي[٣٦].

١/٢/١- تخطيط المدرسة:-

صممت المدرسة المُعِينِيَّة وفق طراز التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أو درقاعة، ويتكون من صحن مستطيل مكشوف حالياً لكنه كان مغطي في الأصل[٣٧] ، فرشت أرضيته بمربوعات ومداوررخامية من أروع الأرضيات الرخامية في العمائر الإسلامية بمصر(لوحة١٤،١٥)[٣٨] ،تحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة (شكل٩)،وهو التخطيط الأكثر انتشاراً بين عمارة المدارس في مصر خلال العصر المملوكي البحري.

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1893,Le Caire 1906,p.11-12.

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1927-1929 , Le Caire 1934 , p.48,pp,51-53.

[٣٥] السخاوي: الضوء اللامع، جـ ١٠،ص١٤؛ حسن عبد الوهاب: طرز العمارة الإسلامية ،ص٢٠، ٢١؛ قدرية توكل البنداري ، رؤية جديدة حول تأريخ مسجد المعينى بدمياط دراسة آثرية، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يوليو،٢٠٠٩م،٢٩٣-٣٥٣؛ محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٦ ، ٣١٧؛ محمد عبد القادر موافي: المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا، ص ٢٦٣ – ٢٨٧.

[٣٦] تمثلت هذه الأعمال في ترميم سقف صحن المدرسة ، وبياض القبة الضريحية ، وعمل أشغال خشبية تمثلت في مقصورة حول الضريح مؤرخة بسنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م ، ومنبر مؤرخ بسنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢م، وسجل تاريخ هذه الإضافات في نقش كتابي سجل علي لوحة رخامية مؤرخة بسنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٠م .
محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣.

[٣٧] الصحن مكشوف حالياً ، لكن كشفت مجموعة الصور القديمة للمدرسة كانت ضمن التقرير الذي أعده فرنس باشا عن المدرسة لعرضه علي لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٨٩٣م - أنه كان مغطي بسقف خشبي، وحدث له ترميم في العصر العثماني سنة ١١٠٩هـ/١٦٩٧م (لوحة ١٤) .
محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٢٤؛ كما كشفت أعمال الترميم الدقيق ضمن مشروع ترميم المدرسة الحديث عن وجود براطيم مملوكية أصلية أسفل بقايا السقف العثماني .

[٣٨] وائل زكريا أحمد البلهيى: طرق نزع وعلاج وإعادة تركيب وصيانة الفسيفساء الرخامية و الأرضية تطبيقاً على أرضية مسجد المعينى،رسالة ماجستير ،كلية الآثار ، جامعة القاهرة،٢٠٠٦م، ص٢١٩؛ وتتشابه تماماً مع أرضية مدرسة أزبك اليوسفي٩٠٠هـ/١٤٩٤م بحي طولون قسم الخليفة بالقاهرة.

١/٢/٢- علاقة التخطيط بوظيفة المدرسة:-

أدت المدرسة المعينية إلي جانب وظيفة التدريس - وظيفة التصوف كخانقاه [٣٩] ، حيث ذكر السخاوي في ترجمته لمنشئ المدرسة ما نصه "... وابتني بدمياط مدرسة هائلة وعمل بها شيخاً وصوفية...)[٤٠]، كما ذكرت إحدى الوثائق أن عدد المتصوفة بها في العصر العثماني بلغ سبعة عشر صوفياً ، وهو عدد أقل بكثير مما كان عليه في العصر المملوكي[٤١]، ويمكننا القول بأن التخطيط ذي الإيوانات الذي صممت علي نسقه المدرسة - كان ملائماً لتأدية وظيفة التدريس والخطابة ، والتصوف أيضاً كوظيفة إضافية ، خاصة في وجود منبر ومئذنتين[٤٢] وخلاوي للطلبة ، علي أن يكون ذلك في وقت معين من اليوم كعقب صلاة العصر مثلاً ، وبحضور الطلبة والمتصوفة معاً [٤٣].

١/٢/٣- وصف التخطيط:-

روعي في التصميم العام للمدرسة المعينية - النسب المعمارية وإحكام البناء ودقته، خاصة وأنها بنيت بالطوب باستثناء الواجهة الحجرية (لوحة١٣ -١٥)، ارتقت به إلي

---

[٣٩] تعدد الوظائف في المنشأة الواحدة أمر قائم بين العمائر المملوكية ، و طبقاً للنصوص التأسيسية و حجج الوقف – فقد أدت بعض مدارس القاهرة في عصر المماليك الجراكسة ذات الأواوين الأربعة وظيفة التصوف كخانقاه ، نموذج ذلك: مدرسة السلطان الظاهر برقوق بالنحاسين حسبما جاء في نصها التأسيسي " ...أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق..." ، وما جاء في حجة الوقف "... ويصرف ما يحتاج إليه.../من ريع الوقف المذكور وأن يقرأ من الكتاب بالمدرسة الخانقاه المذكورة بحضور المتصوفين المذكورين/ وبحضور شيخ الخانقاه المذكورة منه ومن بعد حضور من الطلبة المذكورين ..." .

دار الوثائق القومية: حجة وقف السلطان برقوق ، رقم ٥١ ، نوع التصرف(وقف) ، بتاريخ ٦ شعبان سنة ٧٨٨هـ ، المتصرف فيه (اصطبلان ورواقان وحمام بالقاهرة وقرية ببيت المقدس وقرية بالجولان بسوريا) ، ورقة٤٧ من اللفافة ، سطر١٠ ، ١١.

محمد حمزة الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي،بحث ضمن سلسلة تاريخ المصريين،الهيئة المصرية العامة للكتاب،العدد٥١،١٩٩٢م، ص ٣٠٠ ،٣٠١ ، حاشية١٢١ ص٣٤٢؛ محمد عبد الستار:نظرية الوظيفية ، ص ٢٦٣ ؛ محمد عبد الستار ، مسميات المنشآت الدينية المملوكية ،ص ٦٨،٦٧.

[٤٠] السخاوي: الضوء اللامع، جـ ١٠، ص ١٤ .

[٤١] محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٧.

[٤٢] مجدى علوان : مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ١٩١ ، ٢٠٧.

[٤٣] من أشهر المدارس التي أدت هذه الوظائف مجتمعه:مدرسة الأشرف برسباي بشارع المعز ٨٢٦-٨٢٩هـ/١٤٢٣-١٤٢٥م ، فقد وقفها السلطان برسباى لتكون جامعاً وخانقاه ، كما رتب بها عدداً من الصوفية يجتمعوا مع شيوخهم عقب صلاة العصر يومياً ، ورد ذلك في وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ٨٨٠ أوقاف .

محمد عبد الستار عثمان :الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٧٨.

تصميم المدارس المملوكية كبيرة المساحة في العصر المملوكي ، وهي عبارة عن مستطيل أبعاده ٢٩,٥٠ × ٥٢,٥٠م^{٢} ، وجد به انحراف في الجهة الشرقية استفاد منه المعمار بوضع كتلة المدخل ودركاته وقبة المنشئ ، بينما حافظ علي استطالة داخلية منتظمة لوضع الإيوانات والصحن والمرافق الداخلية(شكل٩) [٤٤]، جاء تخطيطها الداخلي عبارة عن صحن أوسط أبعاده ١٣,٠٦ × ١٢,٨٠م^{٢} ، وبذلك يكون إجمالي مساحة المدرسة ١٥٤٨,٧٥م^{٢}، شغل الصحن منها مساحة ١٦٧,١٧م^{٢} بنسبة ١٠,٨% ، وهو ما روعي فيه مركزية الصحن خاصة مع كبر مساحته، حيث جاءت نسبته إلي باقي الإيوانات علي التوالي :١ : ١,٣ : ١,٧ : ٧,٤ ، وتميز التصميم بالانفتاح على الداخل ، حيث انتظمت أغلب عناصر المدرسة حول الصحن ، الذي تتوزع منه الحركة أفقياً إلي الإيوانات الأربعة ، ورأسياً إلي الخلاوي والسطح ، ودمج المعمار في هذه المدرسة بين غرضين وظيفيين هما العمارة التعليمية وعمارة التصوف.

صُمِمَ إيوان القبلة فيها علي هيئة مستطيل أبعاده ١٣,٦٠×٩,١٠ م^{٢} ،يشرف علي الصحن بفتحة عقد مدبب اتساعه ١٠,٥٠م (لوحة ١٤)، يقابله الإيوان البحري ومساحته ١٣,٦٠× ٧,٢٨ م^{٢} (شكل٩)، أما الإيوانان الجانبيان - فمتماثلان حيث تبلغ مساحتيهما ٦,١٢×٣,٧٠=٢٢,٦٤ م^{٢} ويشرفان علي الصحن بفتحة عقد مدبب اتساعها٦,٥٠م ، ويسقف المدرسة سقف خشبي من براطيم نفذت عليها زخارف ملونة .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجده أنه كان يمثل النموذج الرئيس الذي انتشر بين مدارس العصر المملوكي بشقيه البحري والجركسي، حيث نجده ممثلاً في النماذج التالية: مدرسة الناصر محمد بالنحاسين ٧٠٣هـ /١٣٠٣م، مدرسة صرغتمش بشارع الصليبة ٧٥٧هـ/١٢٥٦م،مدرسة السلطان حسن بميدان صلاح الدين٧٥٧-٧٦٤هـ/١٣٥٦-١٣٦٣م ،مدرسة أم السلطان شعبان بشارع باب الوزير٧٧٠هـ /١٣٦٨م،مدرسة أولجاى اليوسفي بشارع سوق السلاح ٧٧٤هـ /١٣٧٢م، مدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين ٧٨٦-٧٨٨هـ /١٣٨٤-١٣٨٦م،مدرسة جمال الدين الإستادار بالجمالية٨١١هـ/١٤٠٨م، مدرسة عبد الغنى فخرى٨٢١هـ/١٤١٨م بشارع بورسعيد،مدرسة القاضي عبد الباسط بالخرنفش ٨٢٣هـ/١٤٢٠م،مدرسة الأشرف برسباى بالنحاسين ٨٢٦-٨٢٩هـ /١٤٢٢-١٤٢٥م[٤٥].

---

[٤٤] من أمثلة المدارس المملوكية التي صممت بهذه الطريقة مدرسة المنصور قلاوون٦٨٣-٦٨٤هـ /١٢٨٤-١٢٨٥م، ومدرسة الناصر محمد ٧٠٣هـ/١٣٠٣م،مدرسة أولجاي اليوسفي بشارع سوق السلاح ٧٧٤هـ/١٣٧٢م،في حين تمثلت أروع نماذجها في مدرسة السلطان حسن٧٥٧-٧٦٤هـ /١٣٥٦-١٣٦٣م.

[٤٥] تناولت عديد من الدراسات العلمية تخطيط المدارس ذات الإيوانات : أصوله ونشأته ، تطوره و نماذجه من بينها:أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني، العصر الأيوبي، دار المعارف ،١٩٦٩م ،ص١٦٧-١٩٢ ؛ حسن الباشا : دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري

٢- عمائر العصر العثماني:

بقى من العمائر العثمانية الدينية في الدلتا ثلاثة وثلاثين أثراً ، منها تسع وعشرون جامعاً ، وثلاث مدارس ، وزاوية واحدة فقط ، تبين ذلك العلاقة البيانية التالية:

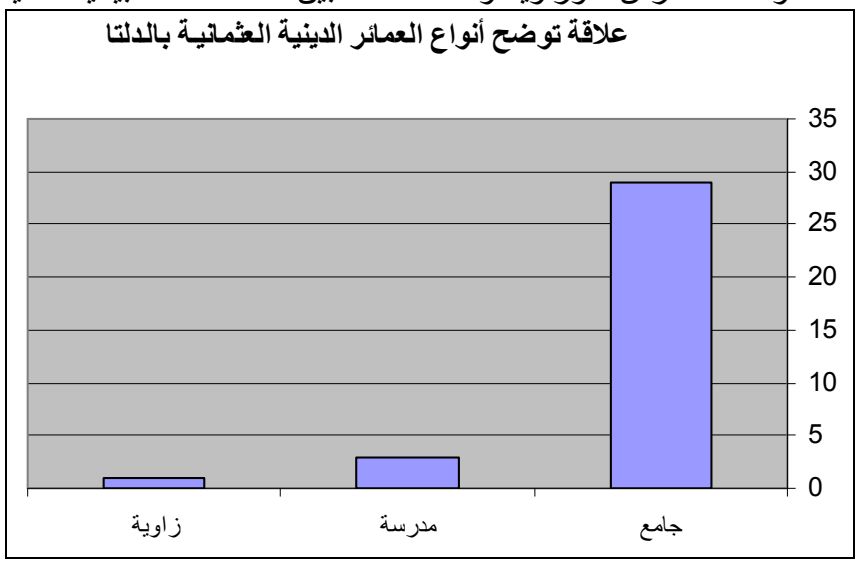

للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد ٣ ، ١٩٨٩م، ص ٤٩ ؛ حسنى نويصر : عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية ، بحث ضمن ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥١ ، ١٩٩١م ، ص ٢٣١ : ٢٥٥؛ صالح لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر ، ص ١٧ -١٩ ؛ محمد حمزة: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة، ص ٢٧١ : ٣٨٦؛ محمد عبد الستار: نظرية الوظيفية ، ص٢٦٦-٢٦٩ ؛ محمد عبد الستار عثمان، مسميات المنشآت الدينية المملوكية وعلاقتها بالتخطيط والوظيفة ، ص ٣٤- ٨٣؛ مصطفي نجيب: نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، جـ٢ ، ١٩٧٨م، ص ٢٧ ؛

Creswell (K.C), *The Origins of the Cruciform Plan of Cairene Madrashs*, Bulletin d'l institut Francais d'Arche'ologic Orientale,Tome XXI, le caire,1922, PP.1 –54 .

Creswell (K.C*), Muslim Architecture of Egypt*,Vol 2, Oxford, 1959, PP.112- 134 .

٢/١ – الجوامع :

تحتفظ مدن الدلتا بعدة جوامع ترجع للعصر العثماني تبينها العلاقة البيانية التالية :

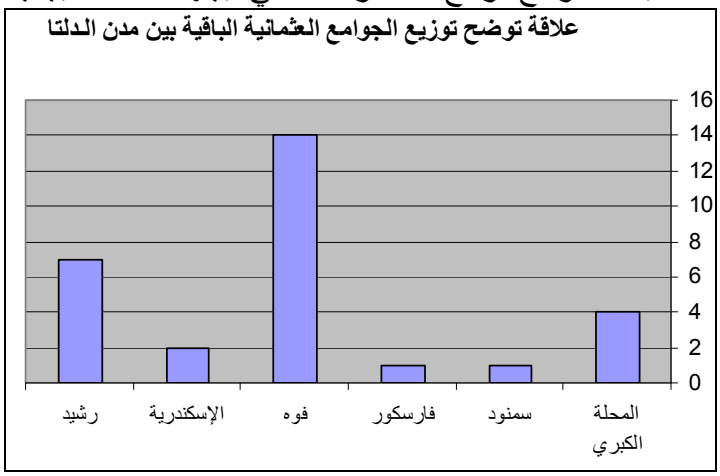

ويمكن حصر هذه الجوامع في المدن والقرى علي النحو التالي :

المحـلة الكبرى:جامع عطاء الله السكندري بشارع الجيارة١١١٠هـ/١٦٩٨م، جامع عبد الله عاصي بسوق الليمون١١٣٥هـ/١٧٢٢م، جامع الشريف المغربي بسوق السلطان ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، جامع الكاشف بالصهاريج ق١٢هـ/١٨م (شكل١١ - ١٤).

سمنـود:جامع القاضي حسين ق١٢هـ/١٨م(شكل ١٥).

فـــــوه: جامع حسن نصر الله ١١١٥هـ/١٧٠١م ، جامع القنائي١٣٣٣هـ/١٧٢٠م ، جامع الصعيدي بالعلوي١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، جامع السادات السبعة١١٣٤هـ/١٧٣١م ، جامع الكورانية ١١٣٩هـ/١٧٢٦م ، جامع شعبان١١٤٧هـ/١٧٣٤م ، جامع أبو عيسى ١١٤٨هـ/١٧٢٥م ، جامع أبو المكارم١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م ، الجامع العمري أو البرلسي ١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، جامع الروبي ١١٤٩هـ/١٧٣٥م ، جامع داعي الدار١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، جامع نظر خان ١١٤٩هـ /١٧٣٦م جامع النميرى١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، جامع أبو شعرة ١١٥١هـ/١٧٣٨م [٤٦] (شكل١٠ ، ١٦ -١٩) .

رشـــــــيد: جامع الرويعي٩٨٣-١٠١٦هـ/١٥٧٥-١٦٠٧م(زغلول)،جامع دومقسيس ١١١٤هـ /١٧٢٠م، جامع التقى١١٤٣هـ/١٧٣٠م، الصامت ١١٤٧هـ /١٧٣٤م، جامع العرابي (النصف الأول من القرن ١٢هـ/١٨م) ، جامع المشيد

[٤٦] حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية ، ص ٣٩ ، ٤٠ ؛ محمد عبد العزيز السيد :عمائر مدينة فوه ، ص١١٤ ، ١٤٤، ١٤٧، ١٦١، ١٦٤ ،١٧٧، ١٩٥، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٤٨ ،٢٥٣ ، ٢٦٥.

بالنور ١١٧٨هـ /١٧٦٤م، جامع العباسي (ق١٢هـ/١٨م)[٤٧] (لوحة ٦، ١٧ ،١٨ ، شكل ٤ ، ٢٠-٢٧ ، ٣٠).

الإسكندرية: جامع إبراهيم تربانه ١٠٩٧هـ/١٦٨٥م، جامع عبد الباقي جوربجى١١٧١ هـ /١٧٥٨م[٤٨] (لوحة ١٩، ٢٠ ، شكل٢٨ ، ٢٩).

فارســـكور: جامع الحديدي ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م[٤٩] (شكل٣١).

٢/١/١- أنواع التخــطيط:

يمكن حصر تخطيط هذه الجوامع في الأنواع الرئيسة التالية:

٢/١/١/١ – التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة:

انحصر هذا التخطيط في جامعين فقط هما: جامع الرويعي أو زغلول برشيد(القسم العثماني) ٩٨٣ -١٠١٦هـ/١٥٧٥- ١٦٠٧م(لوحة٣،شكل٤) ،جامع العمري بفوه ١١٤٩ هـ /١٧٣٦م (شكل١٠)، ويتكون بصفة عامة من صحن أوسط مكشوف مستطيل محاط بأربعة أروقة في جامع العمري ، وثلاثة أروقة فقط في جامع الرويعي ، أكبرها وأعمقها رواق القبلة ، نظمت في كل رواق بائكات ذات عقود مدببة من الطوب ، محمولة إما علي أعمدة من الرخام أو الجرانيت الأحمر الوردي أو الأسود، وإما على دعامات من الطوب أو الحجر ، يسير اتجاه أرجل هذه العقود في اتجاهين: إما موازٍ لجدار القبلة ، وإما عمودي عليها،يسقفها سقف خشبي مسطح من عروق وألواح كما في جامع العمري ، أو تسقفها قباب ضحلة تتكئ على مثلثات ركنية بسيطة نتجت من تقاطع أرجل العقود الموازية والعمودية كما في جامع الرويعي (لوحة٦، شكل٤).

١/١/١- وصف تخطيط الجامعين:

١/١/١/١- جامع الرويعي:عبارة عن صحن مكشوف وثلاثة أروقة ، أعمقها رواق القبلة و يتكون من أربع بائكات موازية لجدار القبلة تتقاطع مع عشر بائكات عمودية، أما الرواق الشمالي الشرقي فمن أربع بائكات تتقاطع مع سبع عمودية علي جدار القبلة ، بينما الرواق الجنوبي الغربي الملاصق للجامع المملوكي فيتكون من بائكة واحدة فقط تسير عقودها موازية للجدار نفسه ، يسقه قباب ضحلة من الطوب (لوحة ٦، شكل٤).

١/١/١/٢- الجامع العمري:عبارة عن صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة ، يتكون رواق القبلة من بائكتين عبارة عن سبعة عقود محمولة على ستة أعمدة ، أما

---

[٤٧] حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية ، ص ٣٦ ؛ محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد،ص٥٠ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ،٦٥ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٨٨ ،٨٩.

[٤٨] أحمد دقماق: مساجد الإسكندرية الباقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الهجرة، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ٤٠-٤٩ ، ٨٠-٩٢ ؛ حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

[٤٩] حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية ، ص ٢٢ ، ٢٣ ؛ سهير جميل: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا ، ص١٠٣ ، ١١٨.

الرواقان الجانبيان من بائكة واحدة تشتمل على عقدين يشرفان على الصحن بعقدين يسير اتجاه أرجلهما عمودي على جدار القبلة، بينما الرواق البحري من بائكة واحدة.
بلغ إجمالي مساحة الجامع الداخلية:٣٧٣,٣٧م٢، شغل الصحن منها مساحة ٧١,٥٦م٢ بنسبة ١٩,٢ %.
أما عن تأصيل هذا التخطيط فإنه ينتمي للتخطيط التقليدي لعمارة الجوامع ، وقد سبق تأصيله ضمن الجوامع المملوكية الواردة بالبحث ، ويعد تخطيط هذين الجامعين امتداداً له في العصر العثماني ، ومن أمثلته في هذا العصر بالقاهرة: جامع عثمان كتخدا (الكخيا) بميدان الأوبرا ١١٤٧هـ/١٧٣٤م ، ويتكون رواق القبلة فيه من ثلاث بائكات ، في حين تشتمل باقي الأروقة على بائكة واحدة، وجوامع : مصطفي ميرزا ببولاق ١١١٠هـ/١٦٩٨م، الفكهاني بالعقادين ١١٤٨هـ/١٧٣٥م، السادات الوفائية بالقرافة ١١٩١ - ١١٩٩هـ/١٧٧٧-١٧٨٤م، وجميعها مكونة من أروقة حول صحن، توزيع البائكات فيها (١/١/١/٢)، يسقفها سقف خشبي مسطح من براطيم وألواح،يضاف إلي تلك النماذج جامع آخر متأخر نوعاً ما،يختلف في طريقة تسقيفه بقباب ضحلة ، مكون من مساحة مربعة مقسمة إلي أربعة أروقة حول صحن مكشوف توزيعها (١/١/١/١)، وهو جامع يوسف كتخدا المعروف بجامع الشاطبي بمنطقة الإمام الشافعي ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م[٥٠].

٢/١/١/٢ - التخطيط ذو الأروقة دون صحن أو درقاعة:

يعتبر هذا النوع من التخطيط أكثر الأنواع انتشاراً بين تخطيط الجوامع العثمانية الباقية بالدلتا ، إذ صمم علي نسقه أربع وعشرون جامعاً هي: جامع عطاء الله السكندري ١١١٠هـ/١٦٩٨م ، جامع حسن نصر الله ١١١٥هـ/١٧٠١م ، جامع القنائي١٣٣٣هـ / ١٧٢٠م ، جامع الصعيدي ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، جامع السادات السبعة١١٣٤هـ/١٧٣١م ، جامع عبد الله عاصي ١١٣٥هـ /١٧٢٢م، جامع الكورانية ١١٣٩هـ/١٧٢٦م،جامع التقى ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، جامع الصامت ١١٤٧هـ/١٧٣٤م ، جامع شعبان ١١٤٧هـ/١٧٣٤م، جامع أبو عيسى ١١٤٨هـ/١٧٢٥م ، جامع أبو المكارم١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، جامع الروبي ١١٤٩هـ/١٧٣٥م ، جامع داعي الدار ١١٤٩هـ /١٧٣٦م ، جامع نظر خان١١٤٩هـ / ١٧٣٦م، جامع النميرى١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، جامع العرابي (النصف الأول من القرن ١٢هـ/١٨م)، جامع أبو شعرة ١١٥١هـ/١٧٣٨م، جامع الشريف المغربى١١٧٣هـ / ١٧٥٩م ، جامع المشيد بالنور ١١٧٨هـ/١٧٦٤م ، جامع الحديدي ١٢٠٠هـ /١٧٨٥م ،جامع الكاشف و جامع القاضي حسين و جامع العباسي (ق١٢هـ /١٨م) (شكل١١- ١٩ ، ٢١ ،٢٣-٢٦ ، ٢٨-٣١) .

[٥٠] محمد أبو العمايم : آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول(إرسيكا)، المجلد الأول ، استانبول ٢٠٠٣م ، ص ٥١٥ – ٥١٧.

ويتكون هذا النموذج من مساحة مستطيلة مقسمة إلى أروقة بواسطة عدد من البائكات ذات العقود المدببة التي تسير اتجاهاتها موازية لاتجاه جدار القبلة ، يسقف هذه الأروقة مجتمعة سقف خشبي من عروق وألواح ملساء أو مزخرفة بالتلوين ،غطيت البلاطة الوسطى من الرواق الأوسط في كثير منها بشخشيخة خشبية ترتفع عن مستوى مسطح باقي السقف ، فتحت بها نوافذ للإنارة والتهوية كما في جوامع :عبد الله عاصي والقاضي حسين والقنائي والصامت وداعي الدار والحديدي (شكل ١٢ ، ١٥ ، ١٦،١٨ ،٢٤ ،٣١) ،باستثناء جامع المشيد بالنور، الذي غطيت أروقته بقباب ضحلة من بينها قبة للشخشيخة تتخللها نوافذ (شكل ٢٦، ٢٧) .

وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجد أنه أكثر أنواع التخطيط شيوعاً بين الجوامع العثمانية في مدينة القاهرة ، حيث صمم علي نسقه عديد من الجوامع منها: جامع مراد باشا ٩٧٦-٩٧٩هـ/١٥٦٨-١٥٧١م ، جامع مسيح باشا ٩٨٣هـ/١٥٧٥م ، جامع مرزوق الأحمدي ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م، جامع محرم أفندي المعروف بجامع الكردي ١١٣٦هـ /١٧٢٣م ، جامع الشيخ مطهر ١١٥٨هـ/١٧٤٥م ، جامع الغريب ١١٦٨هـ /١٧٥٤م ، جامع العريان شارع باب البحر ١١٧١-١١٧٣هـ/١٧٥٧-١٧٥٩م، جامع الشيخ رمضان ١١٧٥هـ/١٧٦١م ، جامع يوسف جوربجي ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ، جامع البيومي ١١٨٠هـ /١٧٦٦م،جامع العربي قبل ١١٨٣هـ /١٧٦٩م ، جامع محرم ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م ، جامع جانبلاط ١٢١٢هـ/١٧٩٧م [٥١].

ويمكن تقسيم أنواع هذا النموذج من حيث عدد الأروقة بين هذه الجوامع إلى أربعة أنواع علي النحو التالي:

٢/١/١/٢/١: مساحة مستطيلة قسمت إلى ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين من عقود مدببة من الطوب ، تسير اتجاهاتها موازية لجدار القبلة ، ويتمثل هذا التخطيط في ستة جوامع هي: جامع السادات السبعة ١١٣٤هـ/١٧٣١م،جامع شعبان١١٤٧هـ/١٧٣٤م، جامع داعي الدار ١١٤٩هـ /١٧٣٦م، جامع الشريف المغربي ، جامع القاضي حسين، جامع الكاشف ،جامع العباسي ق١٢هـ/١٨م (شكل١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ،٣٠) ، وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجده ممثلاً في أحد عشر جامعاً بالقاهرة علي النحو التالي: جامع مسيح باشا بمنطقة عرب اليسار٩٨٣هـ/١٥٧٥م ،جامع مراد باشا بشارع الموسكى ٩٨٦هـ/١٥٧٨م، جامع مرزوق الأحمدي بالجمالية ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م، جامع الشيخ مطهر بالصاغة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، جامع الغريب خلف الجامع الأزهر١١٦٨هـ/١٧٥٤م، جامع الشيخ رمضان برحبة عابدين١١٧٥هـ/١٧٦١م ، جامع الهياتم أو يوسف جوربجي بدرب الجماميز ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ، جامع البيومي بالحسينية ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ،

[51] محمد حمزة : عمائر القاهرة الدينية في العصر العثماني "دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،العدد ٣٧، ١٩٩٣م ، ص ١١٢.

جامع العربي بالغورية ١١٩٩هـ/١٧٨٤م، جامع محمود محرم بالجمالية١٢٠٧هـ/١٧٩٢م ، جامع جانبلاط بعابدين ١٢١٢هـ/١٧٩٧م [٥٢].

٢/١/١/٢/٢: عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى أربعة أروقة بواسطة ثلاث بائكات من عقود مدببة تسير موازية لجدار القبلة ويتمثل هذا النوع في ثلاثة عشر جامعاً هي: جامع عطاء الله السكندري ١١١٠هـ/١٦٩٨م، جامع حسن نصر الله ١١١٥هـ/١٧٠١م ، جامع القنائي ١٣٣٣هـ/١٧٢٠م ، جامع الصعيدي ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، جامع عبد الله عاصي ١١٣٥هـ /١٧٢٢م ، جامع التقى١١٤٣هـ /١٧٣٠م ، جامع الصامت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م ، جامع الروبي ١١٤٩هـ/١٧٣٥م ، جامع نظر خان ١١٤٩ هـ/١٧٣٦م، جامع النميري ١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، جامع العرابي (النصف الأول من القرن ١٢هـ /١٨م)،جامع أبو شعرة ١١٥١هـ/١٧٣٨م،جامع المشيد بالنور١١٧٨هـ/١٧٦٤م(شكل١١ ،١٢ ، ١٦، ١٩ ، ٢٣ -٢٦).

وبتأصيل هذا النوع من التخطيط نجده ممثلاً في جوامع القاهرة التالية: مسجد الكردي أو محرم أفندي بالسيدة زينب ١١٤٥هـ/١٧٣٢م ، مسجد أبي السعود الجارحي بالفسطاط ١١٧٦هـ/١٧٦٢م ، مسجد أحمد العريان بباب الشعرية ١١٨٤هـ/١٧٧٠م ، مسجد الشيخ كشك بشارع البقلي (ق ١٢هـ/١٨م) [٥٣].

٢/١/١/٢/٣: عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى خمسة أروقة بواسطة أربع بائكات من عقود مدببة تسير موازية لجدار القبلة ويتمثل هذا النوع في ثلاثة جوامع هي : جامع الكورانية ١١٣٩هـ/١٧٢٦م،جامع أبوعيسى١١٤٨هـ/١٧٢٥م،جامع أبو المكارم ١١٤٩هـ /١٧٣٦م،وقد وجد هذا التخطيط في جامع سليمان باشا الخادم ببولاق٩٣٧هـ/١٥٣١م [٥٤].

٢/١/١/٢/٤: عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى ستة أروقة بواسطة أربع بائكات من عقود مدببة تسير موازية لجدار القبلة ويتمثل هذا النوع في جامع واحد فقط هو جامع الحديدي بفارسكور ، وتخطيطه عبارة عن مستطيل منتظم تم تقسيمه إلى ستة أروقة بواسطة خمس بائكات من أعمدة مسدسه من الطوب ،تحمل عقوداً مدببة أرجلها موازية لجدار القبلة تربط بينها أوتاراً خشبية للتدعيم ، ويسقفه سقف خشبي من عروق وألواح ، فتح في البلاطة الوسطى للرواق الرابع شخشيخة للإنارة والتهوية (شكل٣١)

---

[٥٢] استمر تأثير هذا التخطيط في عصر محمد علي ، ومن أمثلته : جامع حسن باشا طاهر ببركة الفيل ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م ، جامع سليمان أغا السلحدار بشارع المعز ١٢٥٥هـ /١٨٣٩م ، جامع الجوهري بالموسكي ١٢٦١-١٢٦٥هـ/١٨٤٥-١٨٤٨م).

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٣٥٧ : ٣٦٢ ؛ محمود محمد الألفي : العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن التاسع عشر(أسرة محمد على بالقاهرة)، رسالة دكتوراه ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ، ص ١٥٥ : ١٨٧ .

[٥٣] محمد أبو العمايم : آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني ، ص ٢٤٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩،٤١٧.

[٥٤] محمد أبو العمايم : آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني ، ص ٥٥ :٥٨.

٢/١/١/٣–التخطيط ذو الأروقة دون صحن أو درقاعة محاط بخرجات (سقائف) خشبية:

ينتمي هذا التخطيط إلي النوع السابق من تخطيط الجوامع العثمانية مع الاختلاف في أمرين جوهريين مما جعلنا نفرد له نوعاً من التخطيط لما يلي:

٢/١/١/٣/١: أنها جوامع معلقة مكونة من دورين ، دور أرضي به حوانيت [٥٥] ، ودور علوي به المسجد "إيوان الجامع" [٥٦] ، الذي جاء تخطيطه من أروقة ذات بائكات من عقود موازية لجدار القبلة.

٢/١/١/٣/٢: وجود خرجات [٥٧] أو سقائف خشبية تبرز عن المسطح الأفقي للمسجد في الدور العلوي محمولة علي كوابيل وكمرات خشبية سميكة.

ويتمثل هذا النوع في ثلاثة جوامع منها جامعين بالإسكندرية هما: جامع إبراهيم تربانه ١٠٩٧هـ /١٦٨٥م و جامع عبد الباقي جوربجي ١١٧١هـ/١٧٥٨م،و جامع دومقسيس برشيد ١١١٤هـ /١٧٢٠م (لوحة ١٧ ، ١٨، ١٩، ٢٠ شكل ٢٠-٢٢ ،٢٨، ٢٩) .

وصف تخطيط الجوامع: تقع هذه الجوامع ضمن مجمع معماري معلق يضم مجموعة حوانيت في الدور الأرضي ، يعلوها المسجد في الدور الثاني ويصعد إلية بدرج ، جاء تخطيط المسجد في جامعي تربانه وعبد الباقي جوربجي من خمسة أروقة قسمت بواسطة أربع بائكات من عقود مدببة من الطوب تسير اتجاه أرجلها موازية لجدار القبة(لوحة١٩، ٢٠،شكل٢٨ ،٢٩)، أما جامع دومقسيس فيتكون من ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين (لوحة ١٨) ، تبرز عن كل مسجد خرجات خشبية محمولة علي

---

[٥٥] من الشائع بين جمهرة الأثريين أن يطلق علي المنشأة الدينية أياً كان نوعها لفظ "معلق" لوجود حوانيت أسفلها، وينبغي عدم تعميم هذه الفرضية إذ ليس بالضرورة وجود حوانيت فقط ، بل من الممكن وجود مرافق خدمية خاصة بعمارة المنشأة نفسها ، مثل زاوية الأمير حماد بميت غمر ١٠٢٤هـ/١٦١٥م، والمعروفة وثائقياً باسم "الزاوية المعلقة" ، ويتكون دورها الأرضي من ميضأة ومطهرة وحجرات للصوفية وسلمين صاعدين للدور الثاني.

[٥٦] عَبَّرت بعض الوثائق عن هذا الجزء من الكتلة المعمارية للجامع باسم "إيوان الجامع" .
أحمد دقماق: مساجد الإسكندرية ، ص ٤٤.

[٥٧] خرج يخرج خروجاً فهو خارج ، وخارج كل شيء ظاهره، ويطلق الخارج علي الأجزاء البارزة من المبني ويسمي"خارج أو خارجة" ، ورد بالوثائق" ... ثم إلي الخرجة المطلة علي الطريق الموعود بذكره المشتملة علي خزانة ومخبأة ووجه خركاه مطلة علي الطريق..."، واستعمل هنا كمصطلح وثائقي بمعني زيادة أو سقيفة خشبية تمتد أفقياً خارج جدر المسجد ، ورد في حجتي وقف جامعي تربانه وعبد الباقي جوربجي، وهي إحدى المعالجات المعمارية التي لجأ إليها المعمار مراعاة للظروف المعمارية من جهة والبيئية المحيطة من جهة أخري .
أحمد دقماق: مساجد الإسكندرية ، ص ٤٠-٤٩ ، ٨٠-٩٢.
محمد أمين وليلى إبراهيم:المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية،طبع الجامعة الأمريكية بالقاهرة ،١٩٩٠م، ص٣٩؛ ياسر إسماعيل عبد السلام: العوامل المؤثرة على مخططات العمائر الدينية العثمانية ، ص ٦٦ ، ٧٠.

كوابيل وكمرات خشبية ، بلغ عددها اثنتين في جامعي: تربانه ودومقسيس ، وثلاث في جامع عبد الباقي جوربجي ، والذي يعد أكثر هذه الجوامع تطوراً (شكل٢١ ،٢٢ ، ٢٨ ،٢٩)، ونورد هنا وصفاً لجامع دومقسيس كنموذج لهذا التخطيط:

تخطيط جامع دومقسيس: يقع هذا الجامع ضمن مجمع معماري مكون من دورين وخرجتين خشبيتين (شكل ٢٠-٢٢): خصص الدور الأرضي ليكون منشأة تجارية عبارة عن مجموعة حوانيت تدر ريعاً يصرف على عمارة الجامع المذكور، ويتميز تخطيط هذا الدور بسمك جدره وحوائطه الحاملة وأقبيته الطولية والمتقاطعة التي تسقفه ، وجميعها عناصر معمارية أدت وظيفة إنشائية مهمة هي حمل كتلة الجامع في الدور الثاني ، وخصص المعمار لكتلة المئذنة – منتصف الجهة الشمالية الغربية وبناها بأساس من الأرض تخفيفاً للأحمال الواقعة على كتلة الدور الأرضي ، وتقع على محور أفقي مع المحراب.

الدور الأرضي: تخطيط هذا الدور عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت بواسطة حوائط حاملة ودعامات مستطيلة من الطوب وعمودين كبيرين من الجرانيت إلى سبعة عشر حانوتاً فرشت أرضيتها بحجر جيري معصراني ، تسقفها أقبية طولية ومتقاطعة من الطوب (شكل ٢٠).

الدور الثاني: خصص هذا الدور للصلاة ، جاء تخطيطه عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين ، تتكون كل بائكة من خمسة أعمدة رخامية مستديرة تحمل ستة عقود مدببة تربط بين أرجلها أوتاراً خشبية برسم القناديل والتدعيم .

يحيط بالجامع من الخارج من الجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية سقيفة خشبية عبارة عن رواق واحد ، يتصدر كل سقيفة درابزين خشبي من قواطيع من سدايب رأسية وقوائم خشبية تمتد لأعلى حاملة سقف خشبي من عروق وألواح ، وتبرز أرضية السقيفتين نحو الخارج عن جدر الدور الأرضي محمولة على كوابيل وكمرات خشبية سميكة ثبتت في الحوائط العليا للدور الأرضي،تدعمها في الجهة البحرية ستة أعمدة حجرية(شكل٢٠ ،٢٢).

مما تقدم نخلص إلي تميز تخطيط هذه الجوامع الثلاثة عن باقي الجوامع العثمانية موضع البحث ، والتي خطت جميعها في مسقط أفقي من دور واحد ، حيث تميزت الجوامع الثلاثة بأنها معلقة أسفل حوانيت تجارية تتقدمها خرجات خشبية ، وقد أرجع أحد الباحثين هذا التخطيط كليّة إلي المناخ والبيئة المحيطة لهذه الجوامع [٥٨]، في حين نري أن السبب الرئيس إلي جانب ذلك : كون هذه الجوامع معلقة ، وهو أمر قل وجوده في باقي الجوامع بمدن الدلتا ، حيث حاول المعمار الإفادة القصوى من فرق المساحة البارزة العليا المعلقة بين الدورين السفلي والعلوي في جعلها أروقة إضافية

[٥٨] ياسر إسماعيل عبد السلام: العوامل المؤثرة على مخططات العمائر ، ص ٦٦ ، ٦٧.

للمصلين محمولة علي كوابيل وكمرات خشبية مستعرضة تغطيها رفارف خشبية مائلة تقي المصلين حرارة الشمس والأمطار [٥٩].

٢/٢ – المدارس : تحتفظ الدلتا بثلاث مدارس ترجع للعصر العثماني وهي: مدرسة ابن بغداد ببلدة محلة مرحوم مركز طنطا ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م (شكل ٣٢)، المدرسة الرضوانية بدمياط ١٠٢٩هـ/١٦١٩م [٦٠] (لوحة١٦ ، شكل٣٣ ،٣٤)، مدرسة أحمد البجم بأبيار مركز كفر الزيات١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م(لوحة ٢١-٢٣، شكل٣٥)، و ينحصر تخطيط هذه المدارس في نوعين علي النحو التالي:

٢/٢/١- التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أو درقاعة:

انحصرت نماذج هذا النوع في نموذجين علي النحو التالي :

٢/٢/١/١- تخطيط عبارة عن صحن مغطي محاط بأربعة إيوانات، أكبرها الإيوان البحري وليس إيوان القبلة كما هو المعتاد في المدارس المملوكية ، ويتمثل هذا النموذج في المدرسة الرضوانية [٦١] (شكل ٣٣ ، ٣٤).

٢/٢/١/٢- تخطيط عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بإيوانين وسدلتين:

الإيوان الجنوبي الشرقي والإيوان الشمالي الغربي وأكبرهما إيوان القبلة ، أما السدلتان فجانبيتان هما :السدلة الجنوبية الغربية والسدلة الشمالية الشرقية ، ويتمثل هذا التخطيط في مدرسة ابن بغداد (شكل٣٢) .

٢/٢/٢- التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة:

تمثل هذا التخطيط في مدرسة أحمد البجم ، ويتكون من صحن أوسط مكشوف محاط بثلاثة أروقة أكبرها رواق القبلة [٦٢] (لوحة ٢١-٢٣، شكل٣٥).

---

[٥٩] أري أنه من المستبعد مقارنة هذا التخطيط مع التخطيط العثماني الوافد الذي صمم علي نسقه جامعي: سنان باشا ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، ومحمد بك أبو الذهب١١٨٦هـ/١٧٧٢م بالقاهرة ، والذي يتكون من بيت صلاة مربع يحيط به رواق من ثلاث جهات خلت من جهة القبلة، والذي يعتمد في صميم جوهره علي القبة كعنصر من عناصر التخطيط والتصميم ، في حين اعتمد تخطيط الجوامع موضع البحث علي التخطيط ذي الأروقة وتعليق المسجد.

[٦٠] سهير جميل:الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا منذ الفتح العثماني ، ص٧٧-٨٧؛محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٥ - ٣٤٧.

[٦١] من أمثلة المدارس التي لم يكن فيها إيوان القبلة أكبر الإيوانات : مدرسة خاير بك بباب الوزير ٩٠٨هـ/١٥٠٢م ، حيث كان الإيوانان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي أكبر من إيوان القبلة .

[٦٢] تخطيط نادر جداً بين عمارة المدارس في مصر ، اعتمد بصفة أساسية علي التخطيط الإيواني الموروث من العصر المملوكي كنموذج رئيس لها في أداء وظيفتها ، وحتى النماذج القليلة التي صممت علي نسق التخطيط ذي الأروقة حول صحن كانت من أربعة أروقة مثل المدرسة الأقبغاوية الملحقة بالجامع الأزهر ٧٤٠هـ/١٣٣٩م ، ومدرسة قانيباي الجركسي ٨٤٥هـ/١٤٤١م . محمد حمزة:العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري، ص٢٨٣-٢٨٤.

٢/٢/٣- وصف التخطيط:-

١/٢/٣/١- مدرسة ابن بغداد ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م:

التخطيط العام:عبارة عن مضلع غير منتظم ، به انحراف في الجهة الشمالية الغربية حيث كتلة المدخل الرئيس والدركاه التي تليه والدهليز الموصل للمدرسة من الداخل.

التخطيط الداخلي: عبارة عن مستطيل منتظم تميز بالتماثل في عناصر تكوينه من حيث فتحات النوافذ والأبواب وتقسيم القاعات الجانبية، يتكون من صحن مربع أوسط مكشوف مساحته ٨,٠٥ × ٨,٠٤ م٢، يحيط به إيوانان وسدلتان ، يشرف كل منهما على الصحن بعقد مدبب بني بالطوب ، أما الإيوانان فهما: إيوان القبلة وهو الأكبر،عبارة عن مستطيل أبعاده ١٥,٤٥×٨,٧٠ م٢، يقابله الإيوان البحري وهو مستطيل أيضاً أبعاده٨,١٠×٤,٤٢ م٢، تكتنفه حجرتان مستطيلتان متماثلتان خصصتا لشيوخ المدرسة ، نظمت فيهما العديد من الخزانات الحائطية برسم الكتب والمصاحف ، أما السدلتان فهما متماثلتان في التخطيط ، عبارة عن مربع تقريباً مساحته ٣,٤٨ x ٣,٤٠ م٢ ، إحداهما السدلة الجنوبية الغربية التي تم فصلها عن الإيوانين الرئيسين بدهليز يفضى للميضأة وحجرة مستطيلة صغيرة ، والثانية السدلة الشمالية الشرقية التي عكس فيها المعمار الوضع الإنشائي ، حيث تنفصل عن الدهليز الموصل للصحن من دركاة المدخل وحجرة صغيرة ، نظمت في جداري السدلتين الموازي لجدار القبلة دخلة مستطيلة (شكل٣٢).

وعند تأصيل هذا التخطيط نجد أنه من أكثر أنواع التخطيطات شيوعاً بين المدارس المملوكية ومن أمثلته: مدرسة قلاوون قبل تغيير معالمها الأصلية ٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٤-١٢٨٥م ،مدرسة الأميرمثقال ٧٦٣هـ/١٣٦١م، مدرسة برسباي بالنحاسين٨٢٦-٨٢٩هـ /١٤٢٢-١٤٢٥م،مدرسة جوهر اللالا ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، المدرسة الجوهرية الملحقة بالجامع الأزهر قبل ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م ، مدرسة تغرى بردى البكلمشي ٨٤٤هـ/١٤٤٠م ، مدرسة جقمق ٨٥٥هـ /١٤٥١م ، مدرسة السلطان آينال ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م ، مدرسة قايتباي بالقرافة ٨٧٧-٨٧٩هـ /١٤٧٢- ١٤٧٤م ، مدرسة قايتباي بقلعة الكبش ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م، مدرسة أبو بكر مزهر ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م ، مدرسة قايتباي بمنيل الروضة ٨٨٦-٨٩٦هـ/١٤٨١-١٤٩٠م، مدرسة أزبك اليوسفي ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، مدرسة قانيباي الرماح أمير آخور بدرب اللبان ٩٠٨هـ/١٥٠٢م،مدرسة الغوري٩٠٩-٩١٠هـ/ ١٥٠٣-١٥٠٤م ، مدرسة قانيباي الرماح أمير آخور بالناصرية٩١١هـ /١٥٠٥م، مدرسة قرقماس٩١١-٩١٣هـ/١٥٠٥-١٥٠٧م، مدرسة بيبرس الخياط بحارة الجودرية٩٢١هـ/ ١٥١٥م [٦٣].

[٦٣] محمد حمزة:العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري، ص ٢٨١-٢٨٢.

١/٢/٣/٢- المدرسة الرضوانية ١٠٢٩هـ/١٦١٩م:

تتكون المدرسة من دورين ، الأرضي ويمثل المدرسة،والعلوي وبه كتاب وقاعة مستطيلة، جاء تخطيط المدرسة بصفة عامة غير منتظم ، عبارة عن صحن أوسط أبعاده ٥,١٠ x ٤,٨٥ م^{٢} مغطي بقبة ، تحيط به أربعة إيوانات أكبرها الإيوان الشمالي الغربي وليس إيوان القبلة كالمعتاد ، عبارة عن مستطيل أبعاده ١١,٢٣ x٤,٨٥م^{٢} ، ينقسم إلي رواقين بواسطة بائكة من عقدين مدببين اتجاه أرجلهما عمودي علي جدار القبلة ، ويشرف علي الصحن بعقد مدبب ، أما إيوان القبلة فتبلغ أبعاده ٦,٥٠x٤,٦٥م^{٢} تجاوره إلي اليمين حجرة مستطيلة تطل عليه بفتحتين ، أما الإيوان الجنوبي الغربي فتبلغ أبعاده ٥,١٠× ٤,٢٠م^{٢} يطل علي الصحن بعقد مدبب، بينما تبلغ أبعاد الإيوان الشمالي الشرقي ٥,٦٠× ٤م^{٢} (شكل٣٣) .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجده من التخطيطات النادرة بين عمارة المدارس ، خاصة وأن إيوان القبلة ليس أكبر الإيوانات ، ويتشابه مع نموذج واحد من المدارس المملوكية ، يتمثل في مدرسة خاير بك بباب الوزير٩٠٨هـ/١٥٠٢م، حيث كان فيها الإيوانان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي أكبر من إيوان القبلة.

١/٢/٣/٣- مدرسة أحمد البجم١٠٣١هـ / ١٦٢٢م:

صمم التخطيط علي هيئة مستطيل منتظم،عبارة عن صحن أوسط مستطيل مكشوف أبعاده ١٢,٧٥×١١,٨٠م^{٢}،محاط بثلاثة أروقة وليست إيوانات [٦٤] ، بينما خُصص لموضع الرواق الشمالي الشرقي قبة الشيخ أحمد البجم ودركاة المدخل الرئيس (شكل٣٥) ،وتوزيع الأروقة كتالي:

١/٢/٣/٣/١- الرواق الجنوبي الشرقي: أكبر الأروقة الثلاثة ويتكون من ثلاث بائكات ، تشتمل على عقود مدببة أرجلها موازية لجدار القبلة ، محمولة على أعمدة متنوعة من الرخام والجرانيت،تشرف على الصحن ببائكة من ثلاثة عقود أكبرها الأوسط(لوحة٢١)

١/٢/٣/٣/٢- الرواق الشمالي الغربي: من ثلاث بائكات من عقود مدببة موازية لجدار القبلة ، يشرف على الصحن ببائكة من ثلاثة عقود، نظمت في جدره خزانات حائطية برسم الكتب والمصاحف، ومجموعة حجرات صغيرة وسلالم توصل لخلاوى الطلبة خلف الجدار البحري (لوحة ٢٣).

١/٢/٣/٣/٣- الرواق الجنوبي الغربي:عبارة عن بائكة واحدة تطل على الصحن بعقدين مدببين اتجاه أرجلهما عمودي على جدار القبلة ، وينفصل هذا الرواق عن الرواق البحري بكتلة بنائية عبارة عن قبة ضريحية [٦٥] ، بينما يتصل برواق القبلة

---

[٦٤] تفيده عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ، ص٧٩.

[٦٥] يتشابه في ذلك مع رواق القبلة في خانقاه فرج بن برقوق بقرافة المماليك بالقاهرة ٨٠١-٨١٣هـ/ ١٣٩٩-١٤١١م ، حيث فصل رواق القبلة عن الرواقين الجانبيين بقبتين جانبيتين.

(لوحة ٢٢) ،ويبلغ إجمالي مساحة المدرسة الداخلية:٣٧١ م٢، شغل الصحن منها مساحة٧٧م٢ بنسبة٢٠,٧ % .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجده من أنواع التخطيطات النادرة بين عمارة المدارس بصفة عامة ، حيث نال التخطيط الإيواني قصب السبق بين هذه الأنواع ، ومما يجعل هذا التخطيط أكثر ندرة - أن عدد الأروقة حول الصحن - ثلاثة وليست أربعة كما في المدرسة الأقبغاوية ٧٤٠هـ /١٣٣٩م ، ومدرسة قانيباي الجركسي ٨٤٥هـ/١٤٤١م .

٢/٢/٤- العلاقة بين نصوص الوقف والتأسيس والتخطيط والوظيفة:-

٢/٢/٤/١- مدرسة ابن بغداد:

أكد النص التأسيسي [٦٦] على أن هذه المنشأة - مدرسة ، حيث جاء فيه:

" أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة بتاريخ شهر المحرم من أشهر الله الحرام افتتاح سنة سبع وستين وتسع ماية " .

وهو ما يجعل العلاقة بين تخطيطها والنص التأسيسي علاقة توافق تام .

٢/٢/٤/٢- المدرسة الرضوانية: كانت في الأصل جامع يعرف باسم جامع الأقسماوي (قبل سنة ٩٧٩هـ /١٥٧١م) ، ثم قام رضوان بن عبد الله الينكجري بإجراء عمارة شاملة هي ما عليها الآن سنة ١٠٢٩هـ/١٦١٩م[٦٧]،مسجلاً تلك العمارة في نقش كتابي حجري أطلق فيه مصطلح المسجد بما نصه :

١- بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المسجد المبارك
٢ - الحاج رضوان غفر الله له ولمن تردد عليه
٣ - في أوقات الصلوات والناظر إليه بخير
٤- وإحسان وكان الفراغ في شهر رجب الفرد سنة ١٠٢٩

والمقصود بعبارة "جَدد هذا المسجد المبارك" – أي المسجد القديم المعروف باسم الأقسماوي، بيد أن ما ورد في حجة الوقف الشرعية وعديد من الوثائق العثمانية الخاصة بدمياط يؤكد أن هذه المنشأة بنيت ووقفت كمدرسة[٦٨]،وهو ما يجعل العلاقة بين تخطيطها من إيوانات حول درقاعة ووظيفتها علاقة توافق تام،وغير توافق مع نصها التأسيسي.

٢/٢/٤/٣- مدرسة أحمد البجم:

ثُبِتَ في الجدار الجنوبي الغربي للقبة الرئيسة بالمدرسة والمطل علي الصحن نقشاً كتابياً بخط الثلث،يتضمن نصاً تأسيسياً للمدرسة الأصلية مؤرخ بسنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م كما يلي:

---

[٦٦] سُجِلَ هذا النص في أكثر من موضع ، حيث ورد في نادر أسفل السقف الخشبي للدهليز الموصل لصحن المدرسة ، و على حشوه تاريخ بالمنبر الخشبي الخاص بالمدرسة.
تفيده عبد الجواد:الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ،ص١٥١ ،١٥٢ ، ١٥٥؛ وليد شحاتة : أساليب التغطية في عمائر وسط الدلتا ، ص ٢٧.

[٦٧] محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٣٥.

[٦٨] محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٤٦ – ٣٤٧ ، ٥٣٣.

١- بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا[محمد]
٢- لا إله إلا الله محمد رسول الله امر بانشاء هذه
٣- المدرسة الفقير [٦٩] الأجل [٧٠] ضياء الدين [٧١] رضوان
٤- بن الشيخ ابى محمد خضير حبسها في حياته على ان
٥- يقرأ فيها العلم وجعل النظر [٧٢] فيها بعد موته
٦- لولده ولولد ولده الى انقضاء عقبه الى ان يرث
٧-الله (الأ) رض ومن عليها وذلك في ذى الحجة تسع وعشرين وستمائة.

حدد النص التأسيسي وظيفة المنشأة وكونها مدرسة يقرأ فيها العلم، كما حدد أيضاً تاريخ البناء بسنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م في العصر الأيوبي، وهو النص التأسيسي المتبقي من المدرسة الأصلية والتي بنيت في موضعها المدرسة الحالية.

ومحاولة إرجاع المدرسة الحالية للعصر الأيوبي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م- أمر غير وارد كلية ، حيث إن المبنى الحالي يرجع إلى العصر العثماني وليس الأيوبي ولا

---

[٦٩] الفقير- من ألقاب التواضع والتذلل لله تعالى ، والتي يكثر ورودها في النصوص الجنائزية ، استعمله السلطان نور الدين محمود زنكي و السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي مركباً ، لما عرف عنهما من تقوى وتواضع ، فكان يقال " العبد الفقير إلى رحمة الله " و " العبد الفقير إلى رحمة ربه " ولم يستعمل لقب " الفقير إلى الله" في النقوش المملوكية ضمن ألقاب سلطان قائم ، واستعمل مركباً في العصر العثماني بكثرة ، فقد ورد بصيغ مختلفة منها: " الفقير إليه تعالى" و" الفقير إلى الله" و" الفقير إلى رحمة ربه العلىّ " و" المفتقر إلى رحمة الله تعالى".
مصطفي بركات:مصطفي بركات:الألقاب والوظائف العثمانية ،دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٢٩–٢٣٠.

[٧٠] من الألقاب الشائعة في العالم الإسلامي ويرجح تطوره من لقب "الجليل"، أطلق في العصور الإسلامية الأولي علي أصحاب النفوذ من رجال الدولة ، أقدم نص معروف لهذا اللقب نص عمارة جامع سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م،وفي نص تأسيسي بكردستان سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م ، وكان يلحق بألقاب الوزراء المفوضين ذوي السلطات الواسعة فيقال "الوزير الأجل" ، وأصبح عاماً علي ألقاب الوزراء الفاطميين حتى قدوم بدر الدين الجمالي ، كما أطلق لقب "الشيخ الأجل" علي الوزير نظام الملك في نص تأسيسي بالجامع الأموي بدمشق سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م ، كما كان يمنح لأمراء الجيوش الذين استأثروا بالحكم فيقال " السيد الأجل" ، كما أطلق علي رجال القضاء فيقال " القاضي الأجل" كما في نص تأسيسي بالجامع الكبير بحلب ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م ، أفاض القلقشندى في الكلام عنه وعن استعمالاته المختلفة في المكاتبات مضافاً إلي لقب الوظيفة مثل:"المجلس" "الأمير" "القاضي" "الشيخ" "الصدر".
حسن الباشا:الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دارالنهضة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٢٦-١٣٤.

[٧١] الضياء: السناء أو النور الوهاج، لقب أضيف إلي بعض الكلمات مثل " الدين" " الملة" و "الإسلام"، وجد لقب ضياء الدين علي بعض نقود السلاطين البحرية وبني بويه في بلاد الفرس.
حسن الباشا:الألقاب الإسلامية ، ص ٣٨١.

[٧٢] الناظر: من ينظر في الأموال ويتفقد تصرفاتها ويُرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه .
محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٥٠؛
والمقصود في هذا النص: نظارة الوقف ، وناظر الوقف هو المتصرف في أمور الوقف كافة من عمارة و تجديد وبناء ، ومراعاة الوظائف وانتظامها وصرف الرواتب .

المملوكي، نظراً لأنه من المستبعد ظهور تخطيط مدرسة بمثل هذا التخطيط خارج القاهرة في ذلك التاريخ المبكر، يؤيد ذلك الأدلة التالية:

[١] يُرجع النص بناء المدرسة إلى سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، حيث امتازت المدارس بندرتها خارج القاهرة في العصر الأيوبي خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري الحادي عشر الميلادي [٧٣]، وأن تخطيطها لم يتعد صحناً وإيوانان كما في المدرسة الكاملية ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ، والمدارس الصالحية ٦٤٨هـ/١٢٥٠م التي اجتمع فيها لأول مرة في مصر تدريس المذاهب الفقهية الأربعة.

[٢] اعتمدت طرز العمارة الإسلامية في الدلتا على نماذج التخطيط والوحدات والعناصر المعمارية الوافدة من مدينة القاهرة بعد شيوعها وانتشارها في عمائرها الدينية، وعليه فإننا نستبعد ظهور مدرسة بهذا التخطيط وباقية للآن في هذا التاريخ المبكر في الدلتا.

[٣] ظهرت في مدن الدلتا مدارس أقيمت في العصر العثماني خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، كان تخطيطها من إيوانات حول صحن أو دور قاعة، كما في مدرسة ابن بغداد بمحلة مرحوم ٩٦٩هـ/١٥٦١م.

[٤] احتوت مدرسة البجم في وحداتها وعناصرها المعمارية، على نماذج شاعت بين عمائر الدلتا الدينية إبان العصر العثماني مثل: المداخل والواجهات المزينة بمداميك الطوب المنجور، كما احتوت على مقصورة خشبية حول تركيبة ضريح أحمد البجم مؤرخة بسنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م.

[٥] تولت أسرة معماري المدرسة- المعلم يونس البرلسي بناء المدرسة سنة ١٠٣١هـ /١٦٢٢م، وسجل المعلم يونس توقيعه على جانبي المدخل الرئيس للمدرسة بما نصه: "عمل المعلم يونس ابن المعلم عبد العزيز البرلسي"، كما سجل ابنه أيضاً توقيعه في نص بقبة البجم على مداميك الطوب المنجور أعلى الشباك الجنوبي الغربي المطل على الصحن بما نصه:

" الله لطيف بعباده عمل الفقير فرحات يونس " [٧٤].

مما تقدم نخلص إلى أن المدرسة الحالية ترجع للعصر العثماني سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، أما النص التأسيسي المثبت في جدارها المطل على الصحن فهو

---

[٧٣] من أمثلة هذه المدارس:المدرسة الشريفية ٦١٢هـ/١٢١٥م التي بناها الأمير فخر الدين أبو نصر إسماعيل الجعفري الزيني، والمدرسة الفخرية ٦٢٢هـ/١٢٢٥م التي بناها الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان استادار الملك الكامل، والمدرسة الصيرمية ٦٣٦هـ/١٢٣٨م التي بناها الأمير فخر الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل، والمدرسة الفائزية ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، والمدرسة الصاحبية ٦٥٤هـ/١٢٥٦م التي أنشاها الوزير بهاء الدين علي بن محمد وكانت من أروع المدارس .

أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الأيوبي، ص ٤٩-٥٦؛ عفاف سيد صبره: المدارس في العصر الأيوبي، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٥١، ص ١٥١-١٦٤.

[٧٤] حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية ، ص ٥٥٣.

من مخلفات المدرسة الأصلية والتي احتفظت به من العصر الأيوبي ،وتم تثبيته في جدار القبة المطل على الصحن إلى الآن، وهو ما يجعل العلاقة بين التخطيط والنص التأسيسي في هذه المدرسة علاقة غير متوافقة تاريخياً ووظيفياً خاصة في غياب حجة الوقف الأصلية.

٢/٢/٥- العلاقة بين التخطيط الداخلي والصحن:

يمكن بيان هذه العلاقة من خلال الجدول والعلاقة التاليين :

م	المدرسة	إجمالي المساحة الداخلية	مساحة الصحن	نسبة الصحن من المساحة
١	ابن بغداد	٣٤٤م^{٢}	٦٢,٣٧ م^{٢}	١٨,١٣ %
٢	الرضوانية	٢٩٣,٠٣م^{٢}	٢٤,٧٣ م^{٢}	%٨,٤٣
٣	البجم	٣٧١ م^{٢}	٧٧ م^{٢}	٢٠,٧ %

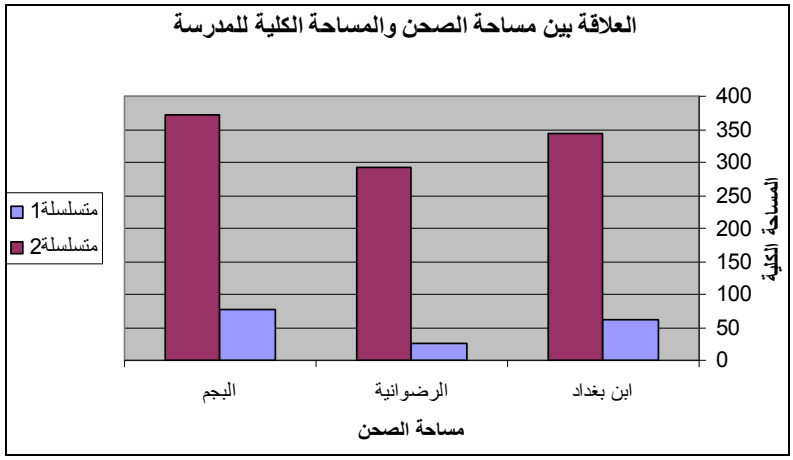

ويلاحظ من خلال هذه العلاقة ما يلى:

٢/٢/٥/١- يوجد تناسب طردي بين المساحة الداخلية للمدرسة والمساحة التي يشغلها الصحن أو الدرقاعة ، وهو أمر طبيعي يحقق وظيفة الصحن كما ذكرنا سالفاً.

٢١/٢/٥/٢-تمثلت أكبر مساحة للصحن في مدرسة البجم نظراً لكبر مساحتها الكلية.

٢١/٢/٥/٣- تمثلت أصغر مساحة للصحن في المدرسة الرضوانية.

وعند تأصيل هذا التخطيط نجده من التخطيطات النادرة بين المدارس المملوكية خاصة وأن إيوان القبلة ليس أكبر الإيوانات ، ويتشابه مع نموذج واحد يتمثل في مدرسة خاير بك بباب الوزير ٩٠٨هـ/١٥٠٢م.

٢/٣- الـزوايـــا:-

بقيت بمدن الدلتا زاوية [٧٥] واحدة فقط وهي زاوية الأمير حماد ١٠٢٤هـ/١٦١٥م بمدينة ميت غمر[٧٦] محافظة الدقهلية [٧٧]، من إنشاء الأمير حماد مقلد البقري ، أطلقت عليها الوثائق مصطلح "الزاوية المعلقة"، حيث ورد في وثيقة أوقاف الأمير حماد بن مقلد ما نصه"... **في وظيفتى النظر والتحدث على المسجد الكبير الكاين بناحية ديرب نجم والزاوية المعلقة الكاينة بناحية ميت غمر انشا المرحوم الامير حماد مقلد البقرى المذكور المعمورين بذكر الله تعالى لينظر كل منهم في مصالح المسجد والزاوية كلها وتعلقاتهم باثرها من عمارة وترميم وملىء ماء وكنس وفرش وامامة وخطابة واذان و وقادة وتلاوة قرآن وما يتكلف بهما من الشعاير الاسلامية..."** [٧٨].

٢/٣/١- التخطيط :-

التخطيط العام للزاوية عبارة عن مستطيل أبعاده ٣١,٦٥ x ١٤,٥٠م٢ ، ونظراً لأنها معلقة كما نصت الوثيقة فهي مكونة من طابقين، يتكون الطابق الأرضي من مجموعة مرافق تشتمل على ميضأة ومطهرة في الجهة البحرية، وحجرتين لاستقبال الزائرين

---

[٧٥] لم يستعمل مصطلح "خانقاه" كمسمي لمنشآت التصوف بين عمائر الدلتا في المصادر التاريخية ، حيث استخدم مصطلح "زاوية" للتعبير عن نوعية تلك المنشآت ، انظر من بين هذه المصادر:
ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، جـ٦ ،ص ٢٤٣، ٢٤٤ ،جـ ٨ ،ص٥١ ؛ أبو الحسين محمد ابن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت،ص١٥- ١٨ ؛أبو الفلاح ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص ٢٥ ،٢٦ ،٢٦٥ ،٢٦٦؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ١٥٧- ١٦١؛ شمس الدين أبى عبد الله محمد ، رحلة ابن بطوطة ،ص ١٩٢-٢٠١ ؛ شمس الدين محمد السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،ج٢ ،ص ٤٥ ، ٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٣٩، ٢٤٠،جـ ٨ ،ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ،جـ ٩ ،ص١٧٧،جـ١١ ،ص ٦٤ ، ٦٥ ؛عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، جـ٢،ص ٨٨-١٢١؛على مبارك، الخطط التوفيقية ،جـ١٢ ،ص ٤٧،جـ١٤،ص ٨٢ ،جـ١٥،ص ١٨-٢٥ ،جـ ١٦ ، ص٧٩؛ محمد بن على الشوكاني، البدر الطالع لأهل القرن التاسع، جـ ٢،ص ٢٣٣؛ محمد المحبي ،خلاصة الأثر ، ج٢ ،ص ١٦٦.
76) Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe,Exercice 1936-1940,Le Caire 1944, p.235.

[٧٧] أنشئت بمدن الدلتا وقراها إلي جانب هذه الزاوية - عديد من الزوايا اندثر معظمها ، كان من بينها: زاوية السادة الطراينية بالمحلة الكبري ٨٢٧هـ/١٤٢٣م ، زاوية الديروطى بدمياط ٩٢١هـ/ ١٥١٥م ، زاوية الشيخ محمد الشناوى ببلدة محلة روح ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م ، زاوية أبي العباس الحريثي بدمياط ٩٤١هـ/١٥٣٤م ،زاوية الشيخ سطيحة بشبرا قبالة بالمنوفية٩٤٢هـ/١٥٢١م ، زاوية الشيخ المنزلاوى بالمنزلة ، زاوية الشيخ الموافي السندوبى بالمنصورة.
ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ ١٥، ص ١٢٤، ١٢٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، جـ٩، ص ١٧٧؛ النجم الغزى : الكواكب السائرة ، ج٢ ، ص ٢٥٤ ؛ عبد الوهاب الشعراني : الطبقات الكبرى، جـ٢، ص ٨٨ - ١٢١،١٠١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ٥ ، ص ٩٠ ؛ دار الوثائق القومية: وثيقة رقم ٧٩٣ أوقاف، محكمة المحلة ، سطر ٦٨ .

[٧٨] دار الوثائق القومية : محكمة ميت غمر ، سجل ١٤ ، ص ٣٩ ، سطور ٦ - ٨.

والرواد [٧٩] ، يسقفهما قبو متقاطع ، وسلمين صاعدين للطابق الثاني في الجهتين:الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية ، وساباط مقبى بقبو طولي يمر المارة من أسفلة من الجهتين الغربية والشرقية(لوحة ١٠ ،شكل٣٦)، أما الطابق الثاني فعبارة عن مستطيل أبعاده ٢٩ × ١٢م٢، جاء تصميمه على هيئة المدارس ذات الإيوانات ، يشتمل على درقاعة وسطى مغطاة بسقف خشبي من براطيم أبعادها٦,٦٠×٦,١٠ م٢ وإيوانـــــين هما: الإيوان الجنوبي الشرقي وهو الأكبر، والإيوان الشمالي الغربي ، أما الجهتان الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية فبنيت فيهما كتلة السلم الصاعد من الدور الأرضي ، وبكل منهما باب الدخول للطابق الثاني (شكل ٣٧).

وعلى الرغم من إنها زاوية إلا أنها احتوت على منبر ومئذنة مؤرخة بسنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م [٨٠] ، حيث أدت وظيفة المسجد الجامع كما نصت الوثيقة .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجده يتفق مع زاوية الشيخ ضرغام أوائل القرن١٠هـ/١٦م[٨١] ، كما ظهر في عمارة المدارس المملوكية ، حيث صممت علي نسقه عدة مدارس هي: مدرسة آينال اليوسفي ٧٩٤- ٧٩٠هـ/١٣٩١-١٣٩٢م ، مدرسة جمال الدين محمود الاستادار ٧٩٧هـ /١٣٩٥م ، مدرسة قانيباي المحمدي ٨١٦هـ/١٤١٣م ، مدرسة السويدي ٨٢٩هـ/١٤٢٦م ، مدرسة الجمالي يوسف٨٥٠هـ/١٤٤٦م ، مدرسة جانم البهلوان ٨٨٣هـ/١٤٧٨م [٨٢].

ويبلغ إجمالي مساحة الزاوية: ٣٤٨ م٢، شغلت الدرقاعة منها مساحة ٤٠,٢٦م٢، بنسبة ١١,٥٧ %،وهي مثال نادر للزوايا العثمانية في مصر بصفة عامة والدلتا بصفة خاصة.

---

[٧٩] من وظائف شيخ الزاوية :تهيئة الطعام للواردين والمجتازين ومؤانستهم إذا قدموا للزاوية ، بحيث تزول خجلة الغربة عنهم ، وإفراد مكان للوارد لئلا يستحى وقت أكله وراحته .
تاج الدين عبد الوهاب السبكي: معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق : محمد على النجار وآخرون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م ، ص ١٢٦ .

[٨٠] احتوت المئذنة علي نص تأسيسي يحمل توقيع الآمر ببنائها بما نصه" بسم الله الرحمن الرحيم/أنشا هذا المئذنة /الأمير قنديل/في شهر رجب سنة ١٠٩٨ " أي بعد بناء الزاوية بأربع وسبعين سنة .
مجدي علوان : مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ١٧٦-١٧٨.

[٨١] محمد أبو العمايم :آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني ، ص ١١٩.

[٨٢] محمد حمزة : عمائر القاهرة الدينية في العصر العثماني ، ص ١٣٨ .

الخاتمة وأهم النتائج :

تناول البحث دراسة تخطيط العمائر الدينية بالباقية من العصرين المملوكي والعثماني بمدن الدلتا وقراها ، وبلغ عدد العمائر التي تمت دراستها أربعون أثراً متنوعة الوظائف ، بنسبة ١٧,٥% من العصر المملوكي : ٨٢,٥% من العصر العثماني .

واعتمدت محاور الدراسة علي عدة جوانب يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً :- أهمية التخطيط المعماري للمنشأة الدينية باعتباره محور البناء والتشييد .

ثانياً:- عدم فصل التخطيط عن الوحدات والعناصر المعمارية الأخرى بالمبني ، فعلي أساس التخطيط تتضح ملامح التشكيل المعماري ، حيث توضع البائكات ، وتُنظم الأروقة والإيوانات ، وتخصص مواقع المآذن والقباب والملحقات المعمارية الأخرى.

ثالثاً:- ارتباط التخطيط بمواد البناء المستخدمة بين عمائر الدلتا المختلفة ، والتي اعتمدت بصفة أساسية علي عناصر البيئة المحلية المتاحة.

ومن خلال التخطيط المقارن للعمائر موضع البحث تم الوصول إلي النتائج التالية:

١- أثبت البحث اعتماد تخطيط عمائر مدن الدلتا الدينية وقراها بصفة أساسية على طرز التخطيط المحلية الوافدة إليها من مدينة القاهرة ، والتي انتشر فيها التخطيط المصري المحلى الذي شيدت على نسقه عمائرها إبان العصرين المملوكي والعثماني، فضلاً عن عدم تأثر عمائر الدلتا بالطراز العثماني الوافد علي مصر[٨٣]، وذلك علي النحو التالي:

---

[٨٣] استندت الفكرة التصميمية الأساسية لهذا الطراز على مركزية بيت الصلاة ، ووجود رواق حوله أو خلفه ، ومراعاة التماثل والاتزان بالمسقط الأفقي والتشكيل المعماري،ويمكننا تقسيم هذا الطراز لثلاثة أنواع كما يلى:

١- عبارة عن مسجد مكون من بيت للصلاة – مربع أو على شكل حرف (T) مقلوب – وخلفه حرم عبارة عن صحن مربع مكشوف يحيط به رواق ، يتصدر بيت الصلاة محراب ومنبر ، تغطية قبة مركزية ترتكز على مثلثات كروية بالأركان وتحيط به أنصاف قباب أو قباب ضحلة صغيرة ، و الرواق المحيط بالصحن عبارة عن بائكة بعقود مدببة ويغطى الرواق قباب ضحلة ماعدا المربعات التي تتقدم المداخل فتغطى أحياناً بأقبية متقاطعة ، وللمسجد مئذنة بقاعدة مربعة صغيرة ودورة مرتفعة متعددة الأضلاع بها شرفة أذان أو شرفتين ولها قمة مخروطية مسلوبة ، ويوجد باب للمسجد يفتح على الحرم ، في حين يوجد للحرم ثلاثة أبواب ، وتؤدى المداخل مباشرة لداخل المسجد أو الحرم ولم تعمل كمداخل منكسرة ،ويسقف فتحات الأبواب عقود موتورة تختلف عن العقود المستقيمة التي تعلو النوافذ ، وكانت المطهرة خارج كتلة المسجد ومن أمثلة هذا النمط " جامع سليمان باشا الخادم (سارية الجبل) بالقلعة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م ، وجامع الملكة صفية بالدوادية ١٠١٩هـ/١٦١٠م .

٢- عبارة عن بيت صلاة مربع يحيط به رواق من ثلاث جهات ما عدا جدار القبلة ، ويغطى بيت الصلاة قبة كبيرة ترتكز على مثلثات كروية بالأركان، والأروقة مغطاة بقباب ضحلة، وللمسجد ثلاثة مداخل يقابلها ثلاثة مداخل بالأروقة المحيطة، وأكدت المداخل بخفض الأرضية المقابلة لها بالرواق .

ومن أمثلة هذا النمط " مسجد سنان باشا ببولاق أبي العلا ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، ومسجد محمد بك أبو الذهب تجاه الجامع الأزهر ١١٨٦هـ/١٧٧٢م .

١/١- التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة:

يمثل هذا التخطيط - التخطيط التقليدي العتيق (الكلاسيكي) لعمارة الجوامع في مصر وبلدان العالم الإسلامي ، وهو عبارة عن صحن أوسط محاط بأروقة تنتظم في بائكات ذات عقود مدببة تتكئ علي أعمدة ودعامات يسير اتجاه أرجلها موازٍ لجدار القبلة أو عمودي عليه، تمثل ذلك في البحث في جميع الجوامع المملوكية وجامع واحد فقط يرجع للعصر العثماني علي النحو التالي: جامع أبو المعاطي بدمياط أقدم الجوامع الباقية بالدلتا، جامع المتولي بالمحلة الكبرى، جامع المتولي بقرية أبو صير مركز سمنود، وجامع زغلول أو الرويعي بشقيه المملوكي والعثماني،جامع المحلي، جامع الجندي.

١/٢- التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أوسط مغطي أو مكشوف:

يمثل التخطيط النموذجي الأكثر شيوعاً في عمارة المدارس المملوكية في مصر، تمثل ذلك في المدرسة المعينية بدمياط أقدم مدرسة باقية بالدلتا (أربعة إيوانات)، و مدرسة ابن بغداد بمحلة مرحوم (إيوانان وسدلتان)، والمدرسة الرضوانية بدمياط

٣- خُصص هذا النوع لتخطيط المدارس في العصر العثماني ، والتي لم يتبق منها سوى مدرستين هما: المدرسة السليمانية بالسروجية ٩٥٠هـ/١٥٤٣م ، و مدرسة السلطان محمود أو المحمودية بشارع بورسعيد ١١٦٤هـ/١٧٥٠م ، و يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة ، تقع خلفها غرف أو قاعات الدرس ، ويشرف الرواق على الصحن من خلال بائكة من عقود نصف دائرية تتكئ على أعمدة رخامية، ويتوسط الظلة الجنوبية الشرقية مسجد صغير بصدره محراب، وملحق بالمدرسة جزء للخدمات والمرافق ، ويلاحظ أن المسجد أصبح منفصلاً وجزءاً من مكونات المدرسة بعد أن كان يمثل الجسم الأساسي الذي يحتوى المدرسة وتنتظم حوله العناصر الثانوية .
عن هذا التخطيط : أصوله وأنواعه ، وعن طرز العمارة العثمانية في مصر انظر:
أوقطاى آصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة: أحمد محمد عيسى ، طبع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ، ص ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤- ١٧٦ ، ١٧٨، ١٨٠ ، ١٨٢؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية،ج١ ، ١٩٤٦م ؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ٥ ؛ سوسن سليمان: عمائر المرأة في مصر في العصر العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م ؛ على المليجى : الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧م؛ محمد أبو العمايم: آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني ؛ محمد حمزة الحداد: الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ؛ محمد مصطفي نجيب:العمارة في العصر العثماني، بحث في كتاب القاهرة، مؤسسة الأهرام،١٩٧٠م؛
مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية : أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة ، طبع منظمة العواصم والمدن الإسلامية – السعودية ، ١٤١١هـ /١٩٩٠م ؛ هدايت تيمور: جامع الملكة صفية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م.
Goodwin. (G.) *A history of Ottoman Architecture,* London, 1971, pp.96-101,pp.168-173.
Ünsal. (B.) *Turkish Islamic Architecture in Seljuk and Ottoman times*, London 1959,pp.24-30.

(أربعة إيوانات)، كما صممت علي نسقه الزاوية الوحيد المتبقية بالدلتا وهي زاوية الأمير حماد البقري بميت غمر(إيوانان).

١/٣- التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة:

احتل هذا النوع من التخطيط - الصدارة بين أنواع تخطيط الجوامع العثمانية الباقية بالدلتاوكان النوع الأكثر شيوعاً بينها ، بغض النظر عن عدد الأروقة .

١/٤- التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة محاطة بخرجات:

تمثل هذا التخطيط في ثلاثة جوامع معلقة وهي: جامع دومقسيس برشيد ، وجامعي: إبراهيم تربانه وعبد الباقي جوربجي بالإسكندرية ، حيث أحيط المسجد (إيوان الجامع) الذي خصص له الدور الثاني بخرجات أو سقائف خارجية من الخشب.

١/٥- التخطيط ذو ثلاثة أروقة حول صحن مكشوف:

من التخطيطات النادرة بين عمارة المدارس وينحصر في مدرسة أحمد البجم من العصر العثماني.

٢- الوقوف علي التاريخ الصحيح لعديد من العمائر كما يلي:

٢/١- جامع أبو المعاطي بدمياط :أقدم الجوامع الباقية بالدلتا ، وترجع أصوله المعمارية للعصر الفاطمي ، ترجع عمارته الحالية لعصر المماليك البحرية سنة٧٧١هـ /١٣٦٩م .

٢/٢- جامع زغلول أوالرويعي(القسم المملوكي)،تم تأريخه قياساً علي جامع أبو المعاطي من خلال: تخطيطه و وحداته وعناصره المعمارية وما تبقي به من شواهد أثرية – إلي سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م.

٢/٣- بناء علي اتجاه القبلة ووضع كتلة المحراب والعلاقة بين الصحن والمساحة الكلية للجامع – تم إرجاع العمارة الحالية وتخطيط جامع المحلي برشيد إلي العصر المملوكي ، علي الرغم من وجود مئذنة وقبة ضريحية وأشغال خشبية متنوعة ترجع للعصر العثماني.

٢/٤- تأريخ مدرسة البجم بسنة ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م ، علي الرغم من احتوائها علي نص تأسيسي من العصر الأيوبي مؤرخ بسنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م.

٣- وضع كتلة المحراب بالنسبة للتخطيط العام للعمائر:

٣/١- انتظمت كتلة المحراب في معظم العمائر موضع البحث في منتصف جدار طويل مستقيم يمثل جدار القبلة ، باستثناء ثلاثة جوامع مملوكية هي : جامع أبو المعاطي وجامع زغلول المملوكي وجامع المحلي ، حيث مالت كتلة المحراب عن الأضلاع المستقيمة للضلعين الجنوبي والشرقي بزاوية مقدارها ١٢٠°، ويرجع ذلك لضبط اتجاه القبلة في المدينتين الساحليتين : رشيد ودمياط ، ومثلت هذه الجوامع الثلاثة أقدم الجوامع بالمدينتين بصفة خاصة والدلتا بصفة عامة.

٣/٢- تقع حنية المحراب علي محور أفقي واحد مع المئذنة في جامعي : الجندي و دومقسيس.

٣/٣- تقع حنية المحراب علي محور أفقي واحد مع المدخل الرئيس في جامع المشيد بالنور برشيد .

١/٤- علاقة الصحن بالتخطيط:

تبين من دراسة تخطيط العمائر ذات الأروقة أو الإيوانات حول صحن أو درقاعة ، ومن خلال العلاقة بين المساحة الداخلية والمساحة المخصصة للصحن أو الدرقاعة – مدى الارتباط بين المساحتين في علاقة طردية ، باستثناء جامع المحلي برشيد والذي كانت علاقته مغايرة كليًة ، نظراً لعمل توسعات لاحقة للبائكات والأروقة علي حساب الصحن مع مراعاة عدم تغير ملامح التخطيط المملوكي الأصلي.

وفي الختام تجدر الإشارة إلي وجود عمائر خارج مدينة القاهرة علي قدر عالٍ من الثراء المعماري والأهمية الأثرية ، لعل أروعها المدرسة المعينية بدمياط ومدرسة ابن بغداد ومدرسة البجم بأبيار والزاوية المعلقة بميت غمر، فضلاً عن الجوامع المملوكية كبيرة المساحة مثل: جامع أبو المعاطي بدمياط ، وجامعي: المحلي و زغلول برشيد ، وجامع المتولي بالمحلة ، ولعل ذلك يؤكد لنا المقولة الشهيرة التي ذكرها الآثاري حسن عبد الوهاب في جولته في الدلتا أثناء إعداده لبحث طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، حيث قال: " يوجد بالنهر ما لا يوجد بالبحر" ، ويقصد بالبحر مدينة القاهرة بطرزها المعمارية وآثارها المتنوعة عبر العصور.

الأشكال واللوحات

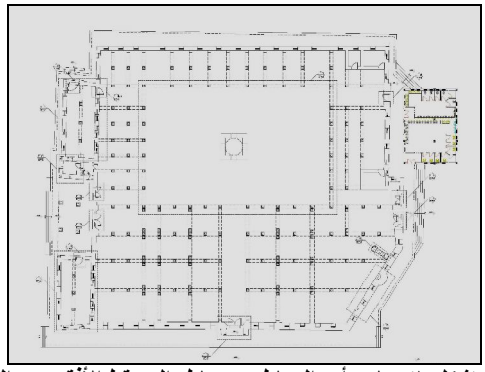

(شكل ١) جامع أبو المعاطى بدمياط: المسقط الأفقي بعد الترميم الحديث
(عن المجلس الأعلى للآثار)

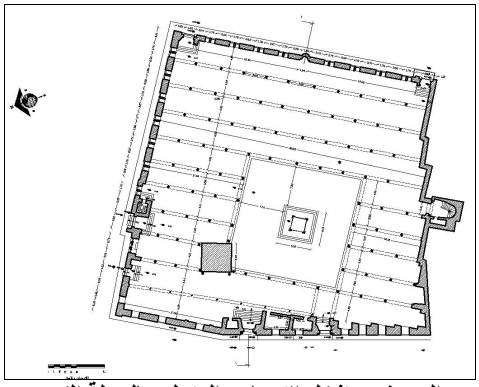

(شكل ٢) جامع المتولي بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي
سنة ٢٠١١م
(عن المجلس الأعلى للآثار)

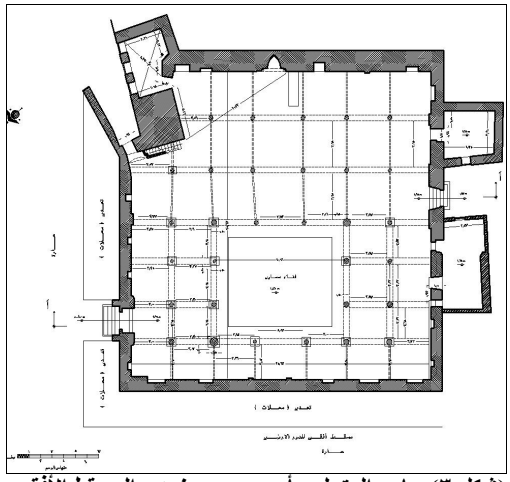

(شكل ٣) جامع المتولي بأبوصير- سمنود : المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

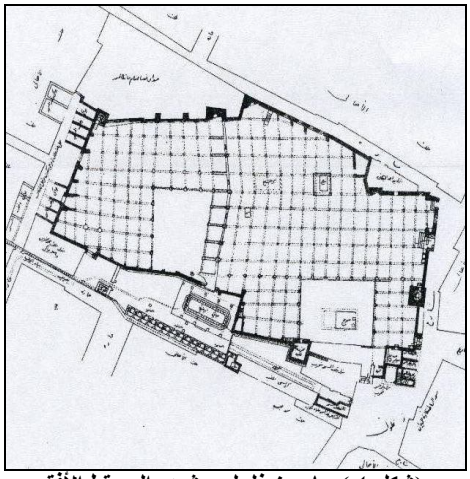

(شكل ٤) جامع زغلول: رشيد: المسقط الأفقي
(عن هيئة الآثار المصرية)

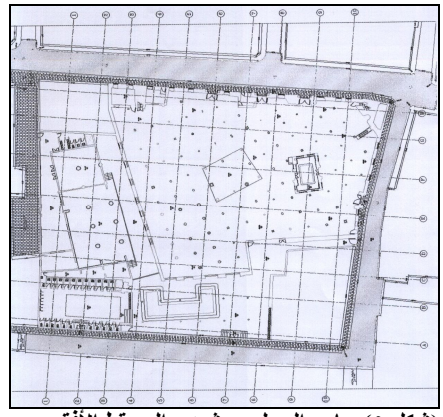

(شكل ٥) جامع المحلى برشيد : المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

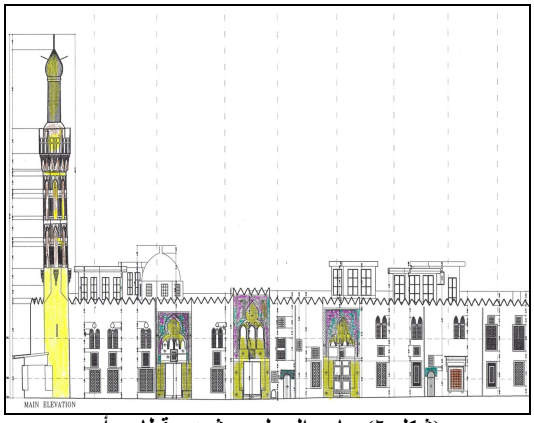

(شكل ٦) جامع المحلى برشيد: قطاع رأسي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

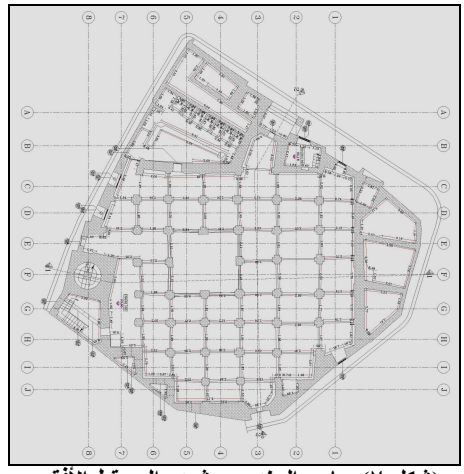

(شكل ٧) جامع الجندي برشيد: المسقط الأفقي للواجهة الحجرية
(عن المجلس الأعلى للآثار)

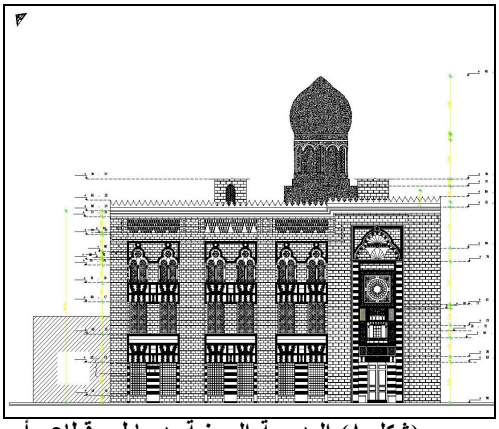

(شكل ٨) المدرسة المعينية بدمياط : قطاع رأسي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

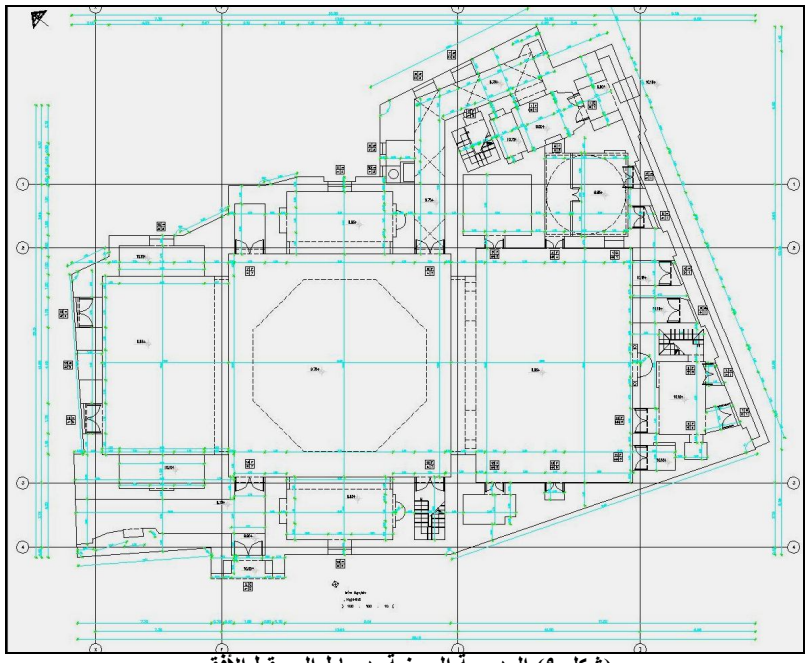

(شكل ٩) المدرسة المعينية بدمياط:المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

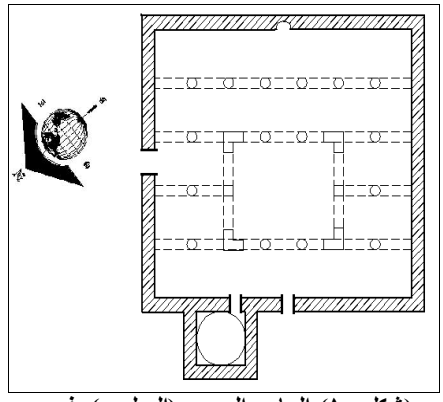

(شكل ١٠) الجامع العمري (البرلسي) بفوه : الكبرى: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

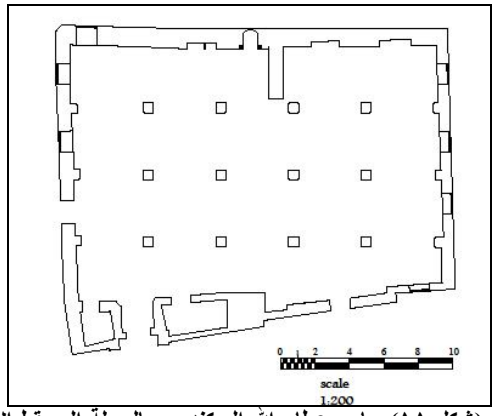

(شكل ١١) جامع عطاء الله السكندري بالمحلة المسقط الأفقي
(عمل الباحث - ينشر لأول مرة)

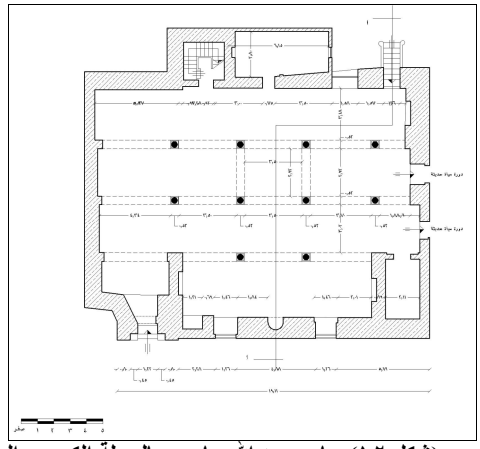

(شكل ١٢) جامع عبد الله عاصي بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي

(عن المجلس الأعلى للآثار)

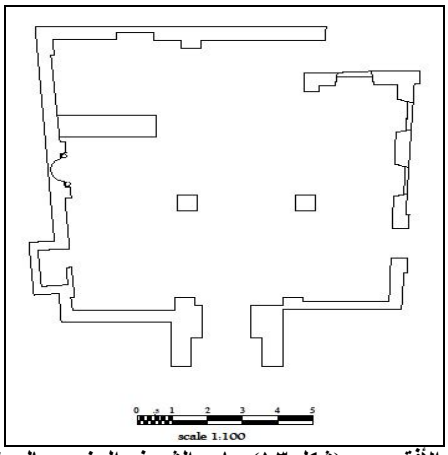

(شكل ١٣) جامع الشريف المغربي بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي

(عمل الباحث- ينشر لأول مرة)

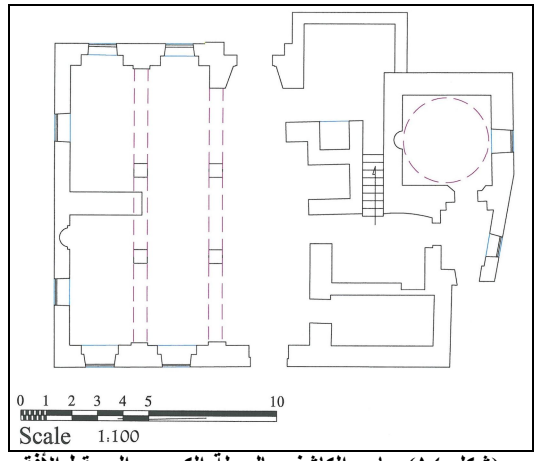

(شكل ١٤) جامع الكاشف بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي

المسقط الأفقي

(عمل الباحث- ينشر لأول مرة)

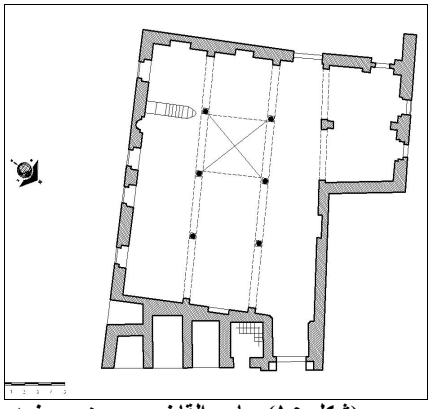

(شكل ١٥) جامع القاضي حسين بسمنود:

(عن المجلس الأعلى للآثار)

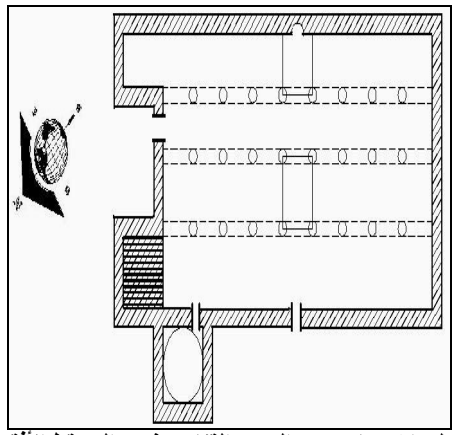

(شكل ١٦) جامع عبد الرحيم القنائي بفوه: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

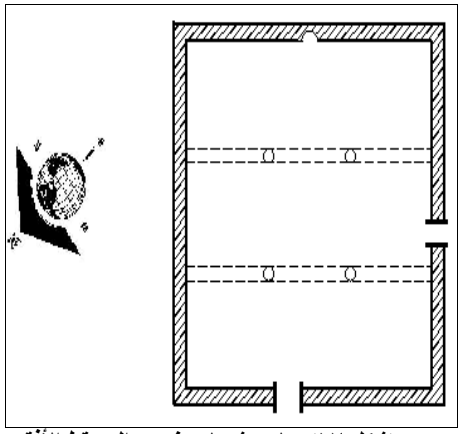

(شكل ١٧) جامع شعبان بفوه : المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

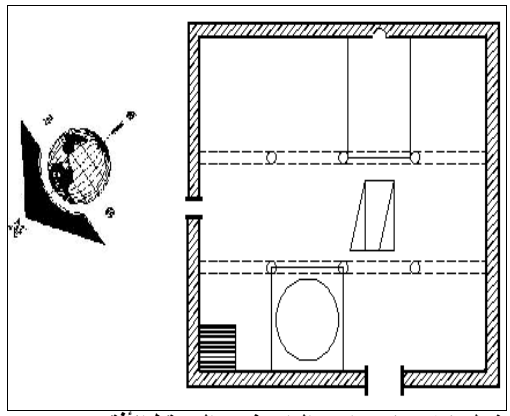

(شكل ١٨) جامع داعي الدار بفوه: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

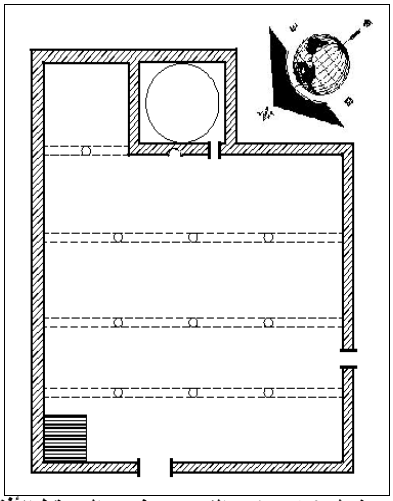

(شكل ١٩) جامع النميري بفوه: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

(شكل ٢٠) جامع دومقسيس برشيد: المسقط الأفقي للدور الأرضي الأفقي للدور العلوي

(عن المجلس الأعلى للآثار)

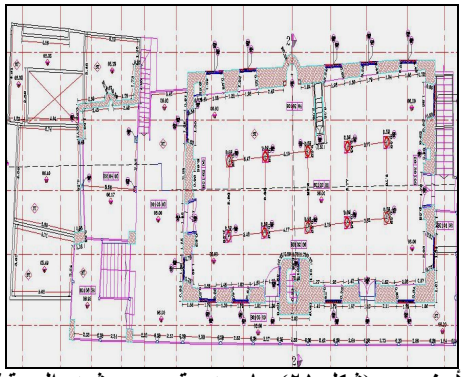

(شكل ٢١) جامع دومقسيس برشيد- المسقط

(عن المجلس الأعلى للآثار)

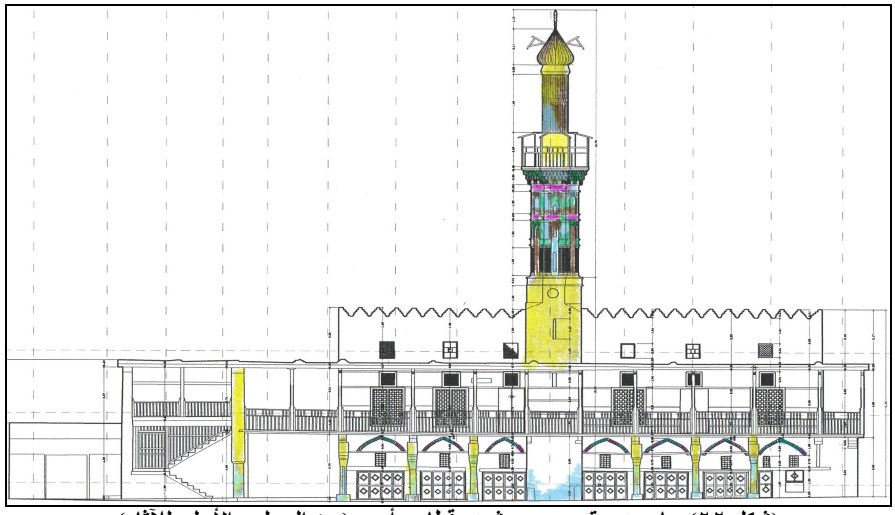

(شكل ٢٢) جامع دومقسيس – رشيد- قطاع رأسي (عن المجلس الأعلى للآثار)

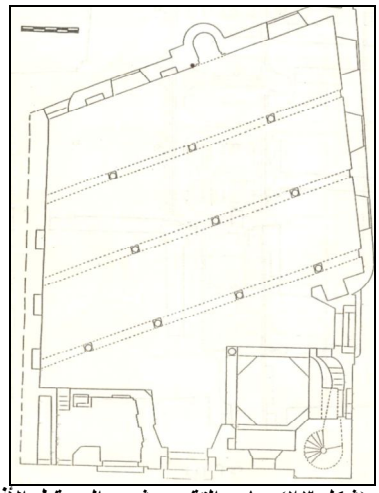

(شكل ٢٣) جامع التقي برشيد- المسقط الأفقي
(عن محمود درويش)

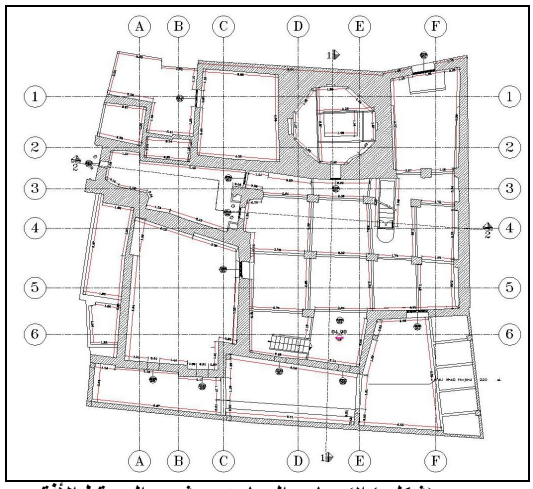

(شكل ٢٤) جامع الصامت برشيد- المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

(شكل ٢٥) جامع العرابي برشيد: المسقط الأفقي
(عن محمود درويش)

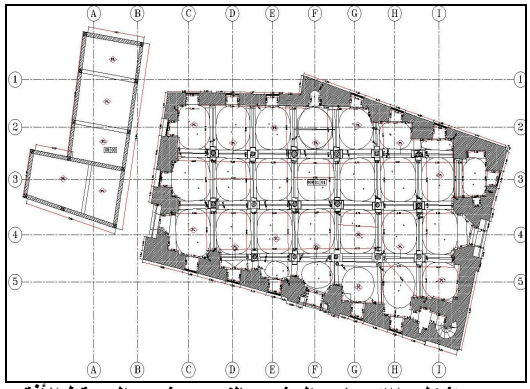

(شكل ٢٦) جامع المشيد بالنور برشيد: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

(شكل ٢٧) جامع المشيد بالنور برشيد- قطاع رأسي (عن المجلس الأعلى للآثار)

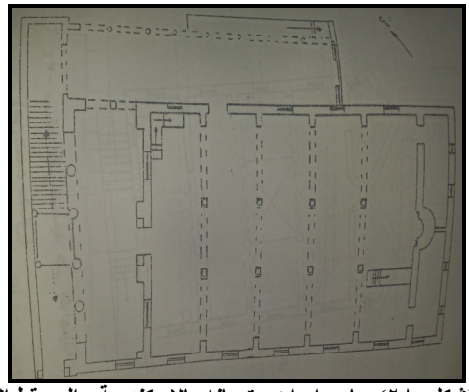

(شكل ٢٨ جامع إبراهيم تربانه بالإسكندرية –المسقط الأفقي

(عن محمد حمزة)

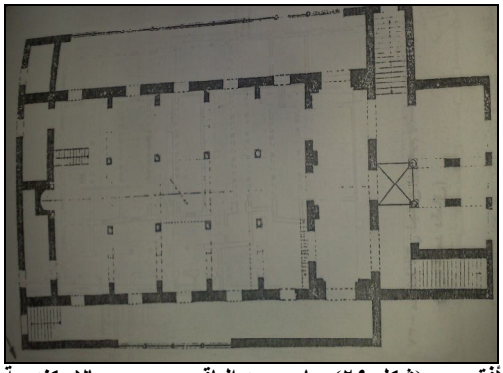

(شكل ٢٩) جامع عبد الباقى جوربجى بالإسكندرية – المسقط الأفقي

(عن محمد حمزة)

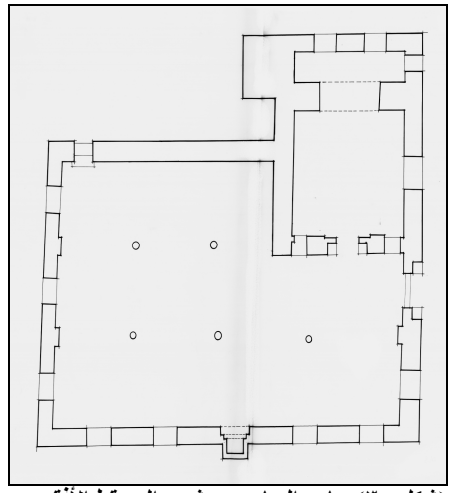

(شكل ٣٠) جامع العباسي برشيد- المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

(شكل ٣١) جامع الحديدي بفارسكور : المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

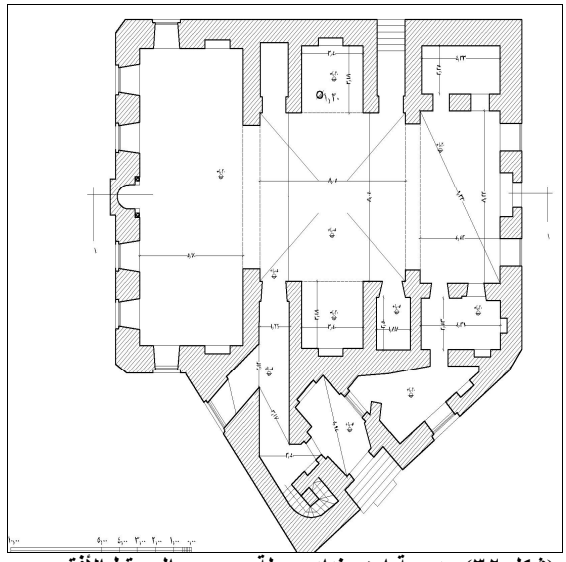

(شكل ٣٢) مدرسة ابن بغداد بمحلة مرحوم: المسقط الأفقي للدور الأرضي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

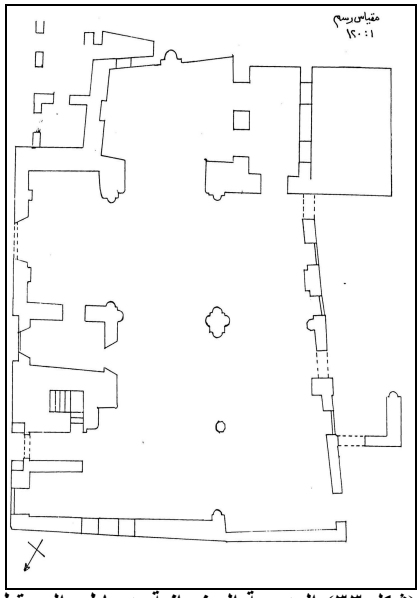

(شكل ٣٣) المدرسة الرضوانية بدمياط : المسقط

(عن محمد عطا)

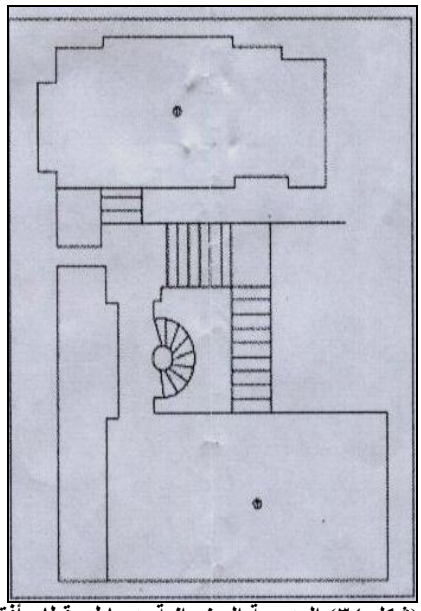

(شكل ٣٤) المدرسة الرضوانية بدمياط : قطاع أفقي للدور العلوي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

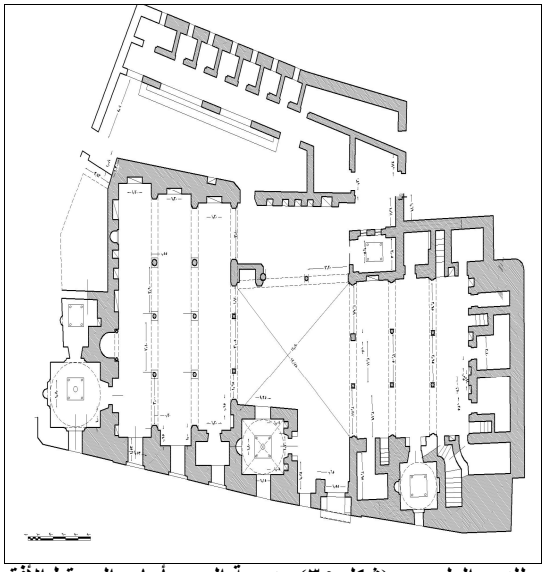

(شكل ٣٥) مدرسة البجم بأبيار: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

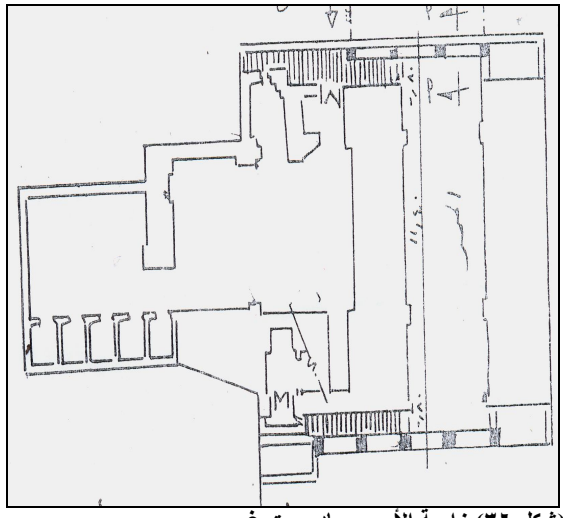

(شكل ٣٦) زاوية الأمير حماد بميت غمر:
المسقط الأفقي للدور الأرضي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

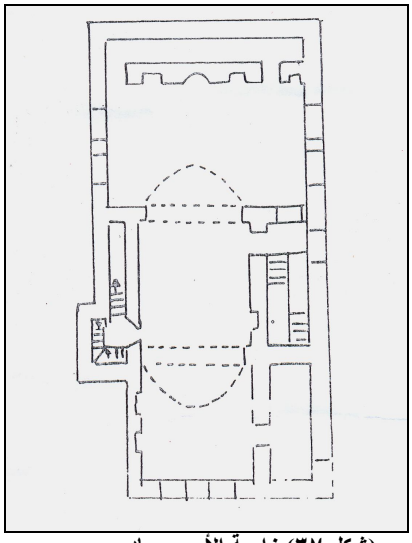

(شكل ٣٧) زاوية الأمير حماد -
المسقط الأفقي للدور العلوي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

اللوحات

(لوحة١) جامع أبى المعاطى بدمياط : الواجهة الجنوبية
(عن لجنة حفظ الآثار العربية)

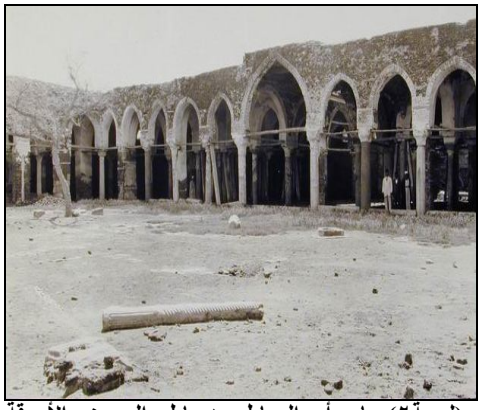

(لوحة٢) جامع أبو المعاطي بدمياط : الصحن والأروقة
(عن لجنة حفظ الآثار العربية)

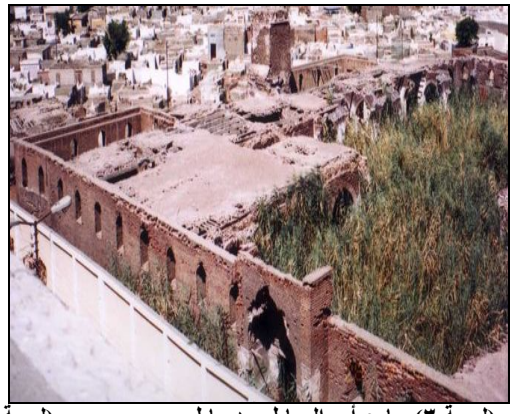

(لوحة ٣) جامع أبو المعاطي بدمياط –
الوضع المعماري قبل الترميم الحديث

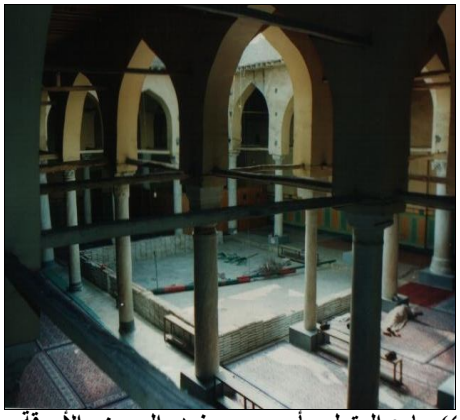

(لوحة ٤) جامع المتولى بأبوصير سمنود: الصحن والأروقة

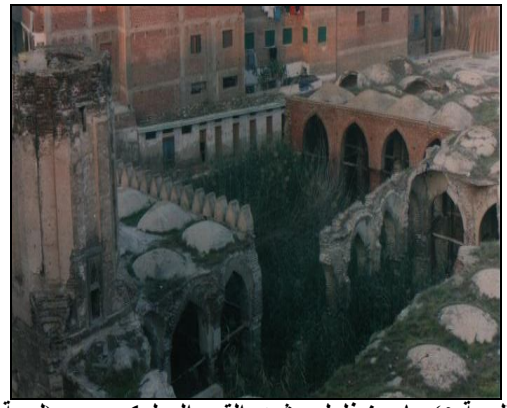

(لوحة ٥) جامع زغلول برشيد: القسم المملوكي

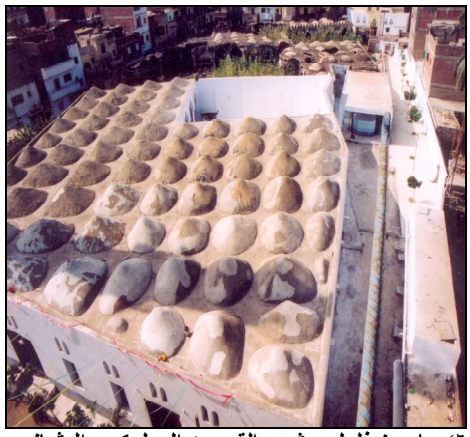

(لوحة ٦) جامع زغلول برشيد: القسمين المملوكي والعثماني

(لوحة ٧) جامع المحلى برشيد: الأروقة

(لوحة ٨) جامع الجندي برشيد: الأروقة والصحن

(لوحة ٩) جامع الجندي برشيد: الصحن والقباب الضحلة (لوحة ١٠) زاوية الأمير حماد مقلد بميت غمر: الواجهة والمئذنة

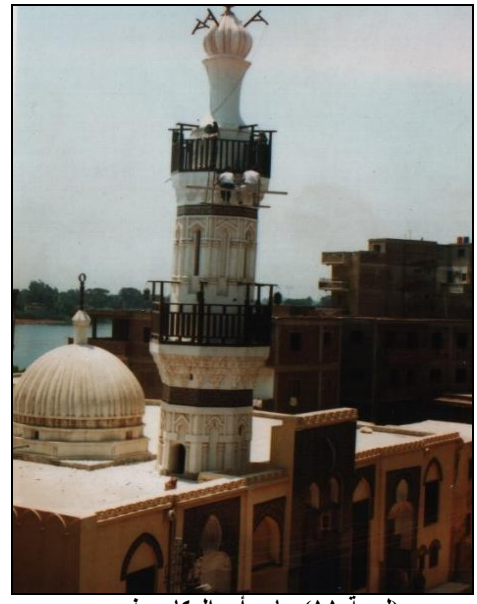

(لوحة ١١) جامع أبو المكارم بفوه

(لوحة ١٢) جامع القنائي بفوه

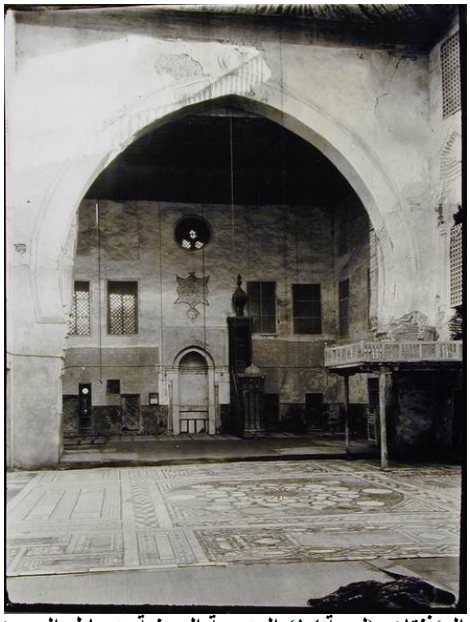

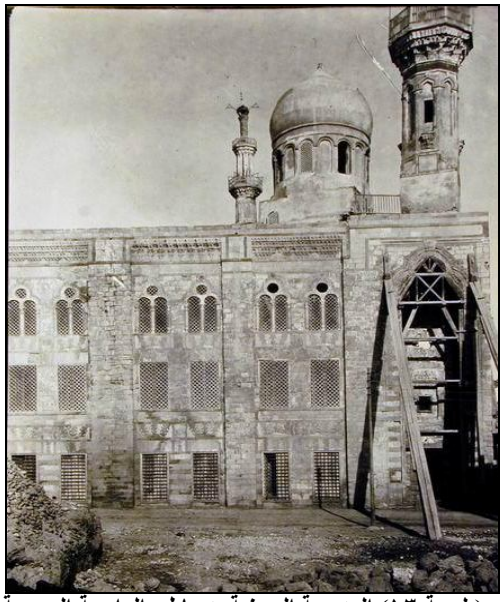

(لوحة ١٣) المدرسة المعينية بدمياط : الواجهة الحجرية والمئذنتان (لوحة١٤) المدرسة المعينية بدمياط: الصحن وإيوان القبلة

(عن لجنة حفظ الآثار العربية) (عن لجنة حفظ الآثار العربية)

(لوحة ١٥) المدرسة المعينية بدمياط :الصحن وإيوان القبلة بعد الترميم الحديث ٢٠٠٩م

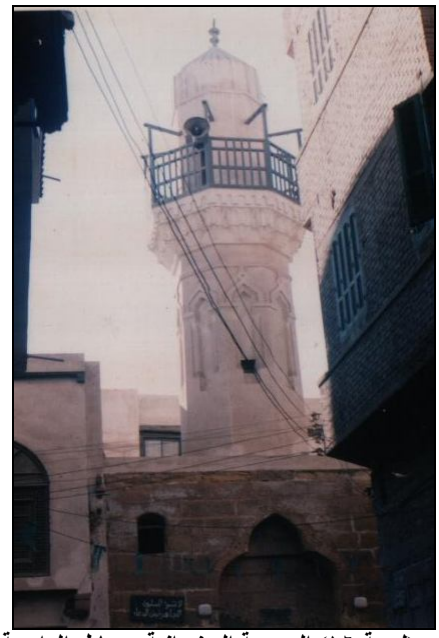

(لوحة ١٦) المدرسة الرضوانية بدمياط: الواجهة الحجرية والمئذنة

(لوحة ١٧) مسجد دومقسيس برشيد: الخارجة

(لوحة ١٨) جامع دومقسيس برشيد: الأروقة الداخلية
الأروقة الداخلية

(لوحة ١٩) مسجد إبراهيم تربانه بالإسكندرية :

(لوحة ٢٠) جامع عبد الباقي جوربجى بالإسكندرية : الأروقة

(لوحة ٢١) مدرسة أحمد البجم بأبيار: رواق القبلة

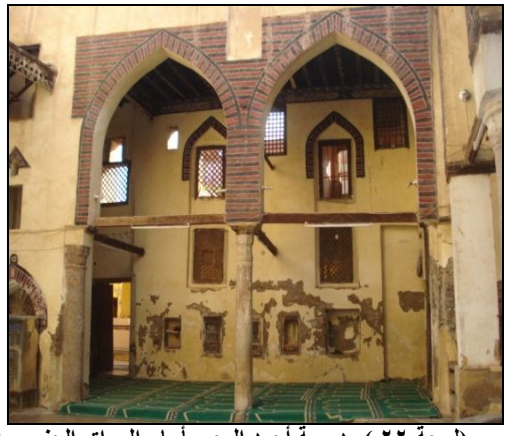

(لوحة ٢٢) مدرسة أحمد البجم بأبيار:الرواق الجنوبي الغربي

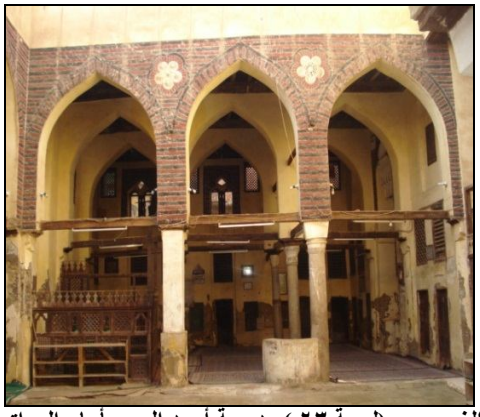

(لوحة ٢٣) مدرسة أحمد البجم بأبيار:الرواق الشمالي الغربي